ملحق

بناء السّلام في لبنان

العدد رقم 15، نيسان 2017

Issue nº 15, April 2017

german cooperation
DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT

Implemented by: KFW

UNDP

شعوب متمكنة.
أمم صامدة.

ملحق خاص

ملحق خاص يصدر عن مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي بتمويل من الوزارة الاتحادية الألمانية للتعاون الإقتصادي والتنمية، من خلال بنك التنمية الألماني KfW، ويوزّع مع جريدة «النهار» بنسخته العربية، ومع جريدة The Daily Star بنسخته الإنكليزية، ومع جريدة L'Orient-Le Jour بنسخته الفرنسية.

يجمع الملحق عدداً من الكتّاب والصحافيين والإعلاميين والباحثين والفنّانين المقيمين في لبنان، ويعالج في هذا العدد ذكرى الحرب الأهلية، بالاضافة إلى قضايا تتعلّق بالسلم الأهلي في مقاربات موضوعية بعيداً عن خطاب الكراهية.

عمّار صالح

قلادة في سلسلة، مدلّاة على شكل قلب، تحمل صورتَيْ عمار محمد صالح ووالده. كان عمار في الـ21 من عمره في آذار 1982 عندما استقل سيارة أجرة من بيروت عائداً إلى بعلبك، حيث منزل والديه. لم يصل إلى المنزل في ذلك اليوم، ولا في أي يوم بعده. ويبقى مصيره مجهولاً.

© داليا خميسي

03 عن الذاكرة والسياسة

03 مصادر الكراهية الكثيرة

05 حرب لبنان: مرجعيات إنشاءات الذاكرة

06 «لا سلام من دون عدالة»

07 المقابر الجماعيّة في لبنان: بقايا من الماضي أم تحدّيات للمستقبل؟

11 المفقودون

12 مقدّمات نشرات الأخبار وارتباطها بالحرب الأهلية

13 إشكاليّة المواطنة في لبنان

14 الحرب ليست مستودع أسلحة

8 - 9 قصصنا في الحرب... وعنها

© كارل حلال

أبطال سرِّيون

سألني أحدهم ذات يوم: «ماذا كنتَ لتفعل لو اندلعت النيران في منزلك؟ هل تهرب وتترك أغراضك كلّها خلفك؟ أم تبقى وتبذل قصارى جهدك لتطفئ النيران، ومن ثم تعيد بناءه؟»

في معرض تذكُّر الحرب الأهلية اللبنانية، وهي الموضوع الرئيسي لهذا الملحق، أود أن أشيد بكل شخص شمّر عن ساعديْه، وساعد في إعادة بناء لبنان. وأود أيضاً أن أشدّد على دور «الأبطال السرِّيين» الذين خاطروا بحياتهم لتوثيق الحرب الأهلية ومعالجة آثارها من خلال الموسيقى والشعر والمسرح. وبالمناسبة، أحيِّي أولئك الذين يحاولون اليوم إقناع الشباب اللبناني بأنّ السلام هو حلّ الصراع، وليس العنف، وأنه لا جدوى من الاعتقاد بأنّ الفرد أو المجتمع وحده هو الضحية الوحيدة للحرب الأهلية، أو إلقاء اللوم على الآخرين بعدم استقرار الوضع. وعلينا إدراك أنّ هذه الانقسامات والهياكل الاجتماعية «نحن» و«هم» هي أسس العداوة.

الحرب وحشية، وبخاصة الحرب الأهلية. تقطّع أوصال نسيج المجتمع عبر الأحياء والقرى والمدن. ولكنّ الحرب تدفع الناس أيضاً إلى الأمل والعمل، وإلى المخاطرة بحياتهم أحياناً من أجل السلام.

إنّ بناء السلام عملية تتطلب فترة زمنية أطول بكثير من الغضب، ويجب أن يقوم ذلك على رؤية للمصالحة.

وفي هذا الصدد، لا يسعني إلا أن أؤكد من جديد على أهمية التفكير في الماضي العنيف للأمم والمجتمعات لكي يدرك المرء القيمة الشاملة للسلام، وحلّ الصراعات بشكل غير عنيف. وفي هذا الإطار، أود أن تترجم ذكريات الأجيال الأكبر سناً إلى وعي موجّه نحو السلام بين الشباب. وأختم متمنِّياً أن تعزّز تجربة حرب الـ1975-1990 المريرة قدرة لبنان على الاعتدال والتفاهم.

السفير مارتن هوت

سفارة جمهورية ألمانيا الاتحادية في بيروت

«تتذكر وما تنعاد...»

هكذا يكون ردّ غالبية اللبنانيين لأي ذِكرٍ للحرب الأهلية اللبنانية (1975-1990). مع ذلك، فإن تفسير هذه العبارة كدعوة للإسهاب في الماضي بشكل عشوائي إنما يكون طائشاً وغير دقيق.

إن كافة الدول التي تعاني في مرحلة ما من حرب أهلية تطمح إلى الدخول في فصل جديد في تاريخها. إلا أنها سرعان ما تدرك أن عملية شفاء الجروح قد تكون طويلة وشاقة. وتخبرنا تجربة تلك الدول أن استيعاب الماضي، وتناول الأسئلة المؤلمة، والتوصل إلى إجابات صعبة، هي المكونات الرئيسية لتحقيق المصالحة، وعناصر لا غنى عنها لبناء مستقبل مشترك أكثر إشراقاً.

في هذا العدد الخاص للملحق الذي يستذكر الحرب الأهلية اللبنانية، نقدّم منصة لمناقشة تداعيات تلك الحرب كما رآها الأشخاص الذين عاشوها؛ وهذا لن يسمح لنا بمشاركتهم ذكرياتهم وقصصهم وتجاربهم وحسب، بل أيضاً بتفحّص الندوب الجسدية والنفسية التي خلّفتها الحرب فيهم جميعاً.

سوف تقرؤون في هذا العدد قصصاً لأشخاص فقدوا أصدقاء مقربين وأفراداً من العائلة خلال الحرب؛ قصصاً عن أشخاص تزوجوا خلال الحرب، متحدّين القنابل والمتاريس؛ قصصاً عن الأشخاص الذين رفضوا مغادرة البلد، على الرغم من كل شيء؛ قصصاً عن أشخاص اختفوا؛ وقصصاً عن عائلات تعيش في حالة دائمة من الخوف والمجهول بعد أن خاب أملهم في رؤية أطفالهم مرة أخرى، أطفالهم الذين بقي مصيرهم معلّقاً في الهواء.

وفيما يستعيد الشعب اللبناني فكرة الحرب عند مشاهدة الأحداث في سوريا المجاورة، تعود الصدمات الناجمة عن تلك القصص والذكريات المكدّسة لتظهر مجدداً. وهنا لا بدّ من الإقرار بأن قصصنا الخاصة عن الحرب لديها القدرة على إضفاء الطابع الإنساني على علاقتنا مع شعوب أخرى قادمة من بلدان مزّقتها الحروب. ولهذا السبب، سيختبِر قراء هذا الملحق، وبشكل واضح، البعد الإنساني للحرب، ومدى صعوبة التحديات التي واجهها الناجون خلال السنوات الأخيرة. ولا يسعنا سوى أن نأمل أن يتردد صدى هذه القصص في رسالة واحدة مشتركة: «قد تختلف حروبنا ولكن معاناتنا وخسارتنا هي نفسها».

أثناء إعداد هذا الملحق، حاولنا تشجيع اللبنانيين والسوريين على التكلّم بكل صراحة، وعلى مشاركتنا آلامهم وقصصهم عن الأمل والحرب. كان البعض منهم متردداً في إحياء الذكريات المؤذية، فيما أبدى البعض الآخر حماسة لمشاركتهم أكثر اللحظات عاطفيّة من طفولتهم وحياتهم كراشدين.

وفيما تقوم الكثير من المنظمات هذه السنة بإحياء ذكرى الحرب من خلال عدة طرق وفي مناسبات مختلفة، فإننا نريد لهذا الملحق أن يكون للقرّاء مصدر ذكرى ودليلاً على عملية طويلة من التأمل في الحرب الأهلية: تداعياتها على المجتمعات الممزّقة، وأهمية العدالة الانتقالية، والحاجة للتوصل إلى إجابات ملموسة لعائلات الأشخاص المفقودين، والأدوات المتوفرة لتذكر النواحي الثقافية للحرب وتحديدها.

نحن لا نريد التكلّم عن الحرب الأهلية من وجهة نظر تاريخية وسياسية؛ بل نسعى لتعزيز ذاكرتها الجماعية والحاجة إلى المصالحة، وذلك كوسيلة يمكننا أن نحقق من خلالها استقراراً اجتماعياً وسلاماً مدنياً دائمَيْن.

نحن نؤمن بأن الوقت قد حان لبناء السلام القائم على مفاهيم حقوق الإنسان والعدالة والمساءلة بدلاً من العفو وفقدان الذاكرة.

لوكا ريندا

مدير برنامج الأمم المتحدة الإنمائي في لبنان

ذكريات الحرب لا تُمحى

لو أراد أحدنا أن يفتّش عن نقاط إيجابية في زوايا ذاكرته من أيام الحرب اللبنانية، لما وجد غير مشاهد قهر وذل ومأساة. مثلها مثل كل الحروب، في سوريا، واليمن، وليبيا، والعراق، وكل أرض تلفها النار، ويحوطها الدخان، ويسودها القتل.

صحيح أننا كنا في زمن الحرب صغاراً، نفرح أحياناً للتغيّب عن المدرسة، لكننا كنا أيضاً نخاف ونجزع، ونعاني من قلّة الماء والخبز، وحرية التنقّل، وعدم توافر وسائل التسلية والترفيه. أي أن الإيجابية لم تطغ يوماً على السلبيات بالجملة.

يقول البعض إن البحبوحة الاقتصادية سادت زمن الحرب اللبنانية، قد يكون الأمر صحيحاً، لكن ما نفع المال أمام خطر فقدان الحياة كل لحظة، أو على الأقل خسارة يد أو رجل أو أي طرف آخر.

تذكُّر الحرب ليس مهمة شاقّة إذ هي ماثلة أمامنا في محطات كثيرة تقرب من الانفجار. ويمكن الاستعانة بالأرشيف إذا لزم الأمر لاستعادة مشاهد وصور ودموع وبكاء ودمار.

الأهم من تذكُّر الحرب، هو الخروج منها، أو العمل لعدم تكرارها، وتلك مهمة أساسية لم نجهد من أجلها. اذا كانت الحروب تحوطنا من كل نحو وصوب، وطلائعها تنذر بامتدادها لتحرقنا، فهل نقف متفرجين، أم نحصّن وحدتنا الوطنية من أجل عدم الدخول في التجربة من جديد؟

وإلى الهروب من حرب تكرّرت مراراً في تاريخنا، ثمّة عمل علاجي لم نمارسه لمحو آثارها من النفوس. وهذا لا يعني النسيان، بل معالجة الجروح، وبلسمتها، وجعل الذكرى عبرة لا رغبة في الانتقام.

المصالحة مع الذات هي المنطلق للوصول إلى مصالحة مع الآخر.

غسان حجار

مدير تحرير صحيفة «النهار»

المواطنة الناضِجة

إن كان من نتيجة إيجابية – بقدر التناقض الذي توحيه هذه العبارة – للحرب الأهلية اللبنانية، فهو أن الدرس الذي تعلمته الطبقة السياسية بأكملها والغالبية الساحقة من السكان، والذي يمكن تلخيصه في عبارة جواهرية واحدة، هو: «مطلقاً مرة أخرى!».

فحصيلة 15 سنة من القتال الشرس كانت أكثر من 100 ألف قتيل وثلاثة أضعاف هذا العدد من الجرحى والمفقودين والمعوقين، إضافة إلى تدمير شامل للمنازل والبنية التحتية. وعقِب تلك الفترة 15 سنة أخرى من عدم الاستقرار في ظل الوصاية السورية. وقد لعب ذلك كله لمصلحة الطبقة السياسية الأكثر راديكالية والميليشيات المولعة بالقتال والمتكاثرة في البلاد. والمجموع كان ثلاثون عاماً أدّت في نهايتها إلى صياغة نوع من المواطنة الناضجة.

واليوم، على الرغم من اختلاف الآراء حول الحكم في لبنان، لا يفكر أحد في حمل السلاح مجدداً لوضع حدّ للمشاحنات السياسية؛ فقد اختبر اللبنانيون، بأم عينهم وبدمائهم، ويلات الحرب وتبعاتها على العائلات والمجتمع والاقتصاد. فبعد أن كان مزدهراً في مرحلة ما، شهد البلد انتكاسة مفاجئة لتقدّمه وغاب عن خريطة بداية الثورة التكنولوجية كما لو أنه غُيِّب عن المسار التطوري الذي تمر به بقية الدول.

ولسنا بحاجة اليوم سوى لأن ننظر إلى الاضطرابات ضمن الطبقة السياسية حول قضايا موضوعية شائكة، مثال قانون انتخابي جديد والميزانية وسلسلة الرتب والرواتب وإعادة هيكلة قطاعات الكهرباء والمياه والاتصالات، وحماية البيئة،ضمن مسائل عديدة أخري، لنرى أنه عملياً، ليس من حل واحد مطروح لأي منها. ومع ذلك، فلا يمر يوم واحد من دون أن يعلن فيه وزير أو نائب أو سياسي أو قائد حزبي إيمانه في «فضائل الحوار والوحدة الوطنية واحترام الآخر على الرغم من اختلافه». وحتى عندما يرفع أحدهم صوته، يكون ذلك ليقسم أن الصراع لا يزال محصوراً في الساحة السياسية، «باسم النقاش الديمقراطي».

هذا كله جيد، بلا شك، شرط أن يعطي هذا النقاش النتيجة المرجوة في نهاية المطاف؛ ولكن هذا قصة أخرى.

غابي نصر

مدير تحرير الملاحق الخاصة

صحيفة «لوريان لوجور» (L'Orient-Le Jour)

لماذا لا يقلق اللبنانيون من الحرب؟

غالباً ما يسأل الأجانبُ اللبنانيين عما إذا كانوا قلقين من أن تنتقل الانتفاضات التي اجتاحت الكثير من بلدان الشرق الأوسط إلى هذا البلد الصغير، بل يعربون عن دهشتهم من أنها لم تنشب بعد.

الجواب بسيط بقدر ما هو معقّد. نحن لا نشعر بالقلق لسببين: أولاً، في لبنان، يتمتّع كل حزب وكل طائفة بتمثيل في الحكومة، كما أن لكل زعيم أيضاً رأياً في صنع القرار، وثمّة إجماع على الحكم بطريقة تضمن عدم شعور أي شريحة من السكان بالتهميش.

والسبب الثاني هو أنه سبق ومررنا بالتجربة هذه، خلال الحرب الأهلية التي دامت 15 عاماً، وتعلمنا بالطريقة الصعبة أنه لا فائزين في مثل هذه الصراعات، والنتيجة الوحيدة هي الحزن والألم والدمار في المجالات كلها ولدى الجميع.

إنما، وللأسف، فإنّ المفهوم ذاته الذي ساعد قادة هذا البلد على وضع حدٍّ لإراقة الدماء أخيراً هو المفهوم الذي حرم اللبنانيين من التصالح مع الماضي. كما أنَّ الاتفاق على ألا يكون ثمّة منتصر ولا مهزوم، سمح باحتفاظ المشاركين في النزاع جميعهم بكرامتهم وشرفهم، وبالمضي قُدماً في أعمال إعادة بناء الأمة.

ولكن في الوقت عينه، وبعد ثلاثة عقود تقريباً على انتهاء الحرب، ثمة حقائق كثيرة ما زالت محجوبة. لكنَّ أحداً لا يبذل جهداً لإلقاء الضوء على أيّ من الفظائع التي وقعت، أو على أعمال القتل التي أودت بحياة عدد لا يحصى من الناس؛ وهم أناس ما زالت أسرهم تأمل حتى اليوم أن يكونوا على قيد الحياة. ونتيجةً لذلك، يبقى جزء كبير من السكان مقيَّداً بآخر حلقات النزاع، وغير قادر على المضي قُدماً حتى يُكتشف مصير المفقودين. ربما لا نشعر بالقلق إزاء حرب جديدة، ولكن ما زال علينا أن ندفن الحرب الأخيرة.

نديم اللادقي

رئيس تحرير صحيفة «الدايلي ستار» (The Daily Star)

حقوق الطبع © 2017. جميع الحقوق محفوظة لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي (UNDP) - مشروع «بناء السلام في لبنان».
إن المقالات والتحقيقات والمقابلات وغيرها مما ورد في هذا الملحق لا تعبّر بالضرورة عن آراء برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ولا تعكس وجهة نظر البرنامج. ويتحمّل كتّاب المقالات وحدهم المسؤولية عما ورد فيها.

ذاكرة

عن الذاكرة والسياسة

طارق متري*

لا يخفى على أحد أن للذاكرة الفردية والجمعية حارساً، حافظاً لها وفي الوقت نفسه رقيباً عليها. فهو يبعد الذكرى المزعجة عن الوعي من دون أن يمحوها من الوجود. وله قدرة على تنظيم محتوى الذكريات وإعادة ترتيبه لحمايتنا مما يؤذي ويدمّر. رغم ذلك، فإن أحداث الماضي تلعب معنا أحياناً لعبة خبيثة، لا نفلت منها إلاّ بجهد كبير التطلُّب، ذلك أن الذاكرة المجروحة والمكبوتة غالباً ما تؤدي إلى الغلوّ في ردات الفعل على أحداث الحاضر.

ليست الذاكرة مطابقة للتعلق بالموروث. ولا يفترض تنشيطها بالضرورة خيار التمسك بالتقاليد. فهذا الأخير يشي بمنحى فكري وسياسي لا يكتفي بالدفاع عن التقليدي بوجه الحديث بل ينزع إلى إضفاء المعيارية أو النموذجية عليه، ويفترض نوعاً من الأمانة للماضي.

وتستدعي الإرادة الواعية في تنشيط الذاكرة، ومعها الدوافع، الأخلاقيات الفردية والسياسية، لا سيما حين نعود إلى الماضي لنتحدث عن الحاضر أو نستشرف المستقبل. فنحن، على حد قول المستعرب الفرنسي جاك بيرك، غالباً «ما نسحب المستقبل من الذكرى». فإذا تأملنا في صناعة «خرافات الأصل» التي يتحدث عنها أحمد بيضون في معرض النظر في ما يسميه «أبهة التاريخ المنفصل» لطوائف لبنان، يتبين لنا أن مشروعية سياسة التعبئة والتبرير أو التنديد والإتهام، تتدبّر أمرها مع الماضي، البعيد أو القريب، بحسب الحاجة. ويصعب على القادة المتحكمين وفي مقدمهم ذوو الموهبة والجاذبية، أن يخفوا رغبتهم الجامحة في السيطرة على الذاكرة الجمعية، فيعيدوا اختراعها بحجة إنعاشها، وعلى هذا النحو يطمحون إلى الاستيلاء على منابع المشروعية.

غير أن النخب السياسية في الأنظمة الديموقراطية لا تحتاج إلى توظيف الذاكرة في خدمة المشروعية، بالقدر نفسه على الأقل. ولعلّها أقلُّ اضطراراً للالتفات صوب الماضي لبناء المستقبل، ولو أنها لا تستطيع إغفاله. فالديموقراطيات تقيم مشروعيتها لا على الإنتخابات فحسب، بل أيضاً على نصوص تأسيسية من الماضي، مثل الدستور، وهو جزء من الذاكرة المشتركة وإرادة العيش معاً حسب قواعد متفق عليها.

وإذا كان صحيحاً أن المشاعر الأكثر انسجاماً مع الديموقراطية هي التي تتطلع إلى المستقبل. فإن بعض المشاعر والمواقف الملتفتة إلى الماضي، تنسجم مع الروح الديموقراطية، لا سيما ما يتّصل باستعادة خبرات الحياة المشتركة. ويصح ذلك لأن الديموقراطية متعددة المعاني. فهي، في حدها الأدنى، طريقة لتغيير الحكومات من دون اللجوء إلى العنف. وهي أيضاً نوعية علاقة بين القوى السياسية تحترم الذاكرة المشتركة، وبخاصة نصوصها التأسيسية كالدستور، وتعزز المشاركة العقلانية والمنصفة في السلطة. كما تفترض المناقشة المستمرة والحوار المفتوح من جهة أولى، والالتزام بالاتفاقات من جهة ثانية، وأياً كان من أمر التوتر بينهما. ويظهر هذا التوتر بوجه أخص في الانتقال من نظام قوي ومتسلط إلى نظام ديموقراطي وضعيف، من نظام مستقر وتابع إلى نظام مستقل وغير مستقر. والتوتر قائم أيضاً بين ضرورتين: الخروج من العنف بوسائل سياسية، والاستجابة لطلب العدالة.

ومن شأن السعي إلى احتواء هذا التوتر وذاك أن يدفعنا إلى اتخاذ قرارات وإنشاء مؤسسات تساعدنا على أن ننسى شيئاً ونتذكر شيئاً آخر. فكثيراً ما يقال إن الذين ينسون الماضي محكومون بتكراره، فيما أصوات أخرى تؤكد أن التخطي شرط المستقبل، وهو متعذر من دون نسيان الماضي حتى لا نسمح للأحقاد القديمة بأن تدمر إرادة العيش معاً، وهي شرط للنهوض الديموقراطي.

لهذا السبب، أو بالأحرى للسببين معاً، تحتاج المجتمعات التي تنشد السلم بعد الحرب إلى معالجة الذاكرة والعمل على شفائها. فحين نتذكر المصائب نتذكر من أنزلها بنا فنأخذها عليه، ويكون ذلك انتقاماً وإن بصورة رمزية. وإذا ما كان متعذراً منع الإنتقام بكل صوره، فإنه يستحسن أن ننزع عن الكراهية ديمومتها بواسطة الفعل السياسي.

والسياسة، في هذا السياق، تتحمل عبئاً صعباً لا سيما في مجتمعات ما بعد الحروب الأهلية، عنيت به كشف حقائق الماضي من دون الإنزلاق إلى اعتبار خلافات الحاضر مواصلة لحروب الماضي. الذاكرة إذاً قابلة للتوسل، وهي متوسّلة. وتتحول أداة سياسية عن طريق اختيار توقيت إيقاظها وسياقه. والإيقاظ ليس عملية بريئة، بل هو في حقيقة الأمر إعادة تركيب أو ترتيب.

يعرف الجميع أنه، في بلد كلبنان، ليست الذاكرة التي يعاد تركيبها مشتركة. فالذاكرة الخاصة بكل طائفة أو جماعة سياسية هي موضوع الصناعة الأول مما يزيد أهمية البحث عن الحقيقة. لكن البحث عن الحقيقة يتطلب جهداً مشتركاً على أن تكون المصالحة قصده الأول. والحقيقة شرط للمصالحة.

بالطبع إن البحث عن الحقيقة الموضوعية القانونية هو شأن المحاكم، فتكون حقيقة تحرّر وتضع حداً للإفلات من العقاب، وتسهم في ردع العنف. غير أن نشدان الحقيقة من أجل المصالحة متعدد الأبعاد. فهناك بعد الوقائع والبعد الشخصي. ويظهر البعد الثاني في روايات الضحايا وشهاداتهم، في قصة آلامهم ومخاوفهم. والحقيقة الطالعة من التجربة أو المعاناة قابلة لمشاركة أكبر بين الذين تفرّقهم الولاءات السياسية والإنتماءات الطائفية. وهي تحتمل المقابلة والمقارنة والمناقشة. والمعرفة التي تنتجها تدعو إلى الإعتراف.

هذه الحقيقة مجالها الفضاء العام، أي السياسي، حيث تتواجه المتخيلات وتوضع أنصاف الحقائق تحت السؤال ويكشف التلاعب بآراء الناس ومشاعرهم. ثم إن التشديد على الحقيقة من أجل المصالحة يصل بنا إلى أن نغفر من غير أن ننسى، بينما تأخذنا الممارسة الشائعة، التي نسميها بوس اللحى، إلى أن ننسى من غير أن نغفر.

في أيامنا الحاضرة يدفعنا كلام السياسة السائد وكلام الإعلام إلى النسيان بلا غفران. وعندها تُستخدم الذاكرة انتقائياً لتجعل السياسة بمثابة خناقة ليس لها آخر، تتجدد يوماً بعد يوم وكأننا باقون على شفير الحرب.

* مدير معهد فارس للسياسات العامة والعلاقات الدولية في الجامعة الأميركية في بيروت

كراهية

مصادر الكراهية الكثيرة

حازم صاغية*

حين انتهت الحرب العالميّة الثانية بدت الكراهية عاطفة مكروهة. لقد كلّفت 50 مليون إنسان ومحرقةً لم يُفكَّر مرّةً بأنّ الصناعة تصنعها. ومع أنّ أوروبا غادرت حربها فقيرةً ومدقعةً، فإنّها لم تتطرّف على ما فعلت في الثلاثينات. ثمّ، في 5 حزيران 1947، حلّ اليوم المشهود: الجنرال مارشال، وزير خارجيّة ترومان، طالب الكونغرس بتمرير خطّة لإعمار أوروبا.

ما بات يُعرف بـ«مشروع مارشال» أعاد البناء وحرّك الاستثمار، فأتاح فرص العمل لطالبيها. وكان لهذا الحدث الضخم أن فتح سوقاً تفيض عن أيدي الأوروبيّين، فانفتح الباب لشبّان المستعمرات والمستعمرات السابقة: تعالوا إلينا وجيئوا بعائلاتكم. وفعلاً جاء العمّال.

سفارات بلجيكا وقنصليّاتها في المغرب العربيّ عمّمت كرّاساً شهيراً بعنوان «الحياة والعمل في بلجيكا»، هدفه إغراء الشبّان المغاربة بالهجرة كي «تمدّوا بلدنا بقواكم وذكائكم».

البيان البلجيكيّ وُزّع في 1964، بعد عقدين على ابتداء نزع الاستعمار. الأخوّة وحقّ الشعوب في المساواة وتقرير المصير كانت علامات الزمن. أمّا المؤمنون فشرعت تلفحهم، ابتداء من 1958، رياح منعشة: يوحنا الثالث والعشرون وصل عامذاك إلى الفاتيكان. إنّه من عقد المجمع الفاتيكانيّ الثاني وتحمّس لمصالحة المسيحيّة واليهود، مؤكّداً دوماً على توجّهاته الليبراليّة والمناصرة لحقوق الإنسان.

هذا المناخ الأوروبيّ، عزّزته أميركيّاً رئاستا كينيدي وجونسون، لكنّ بريطانيا عرّضته لانتكاسة أجفلت الرأي العامّ التقدّميّ. فالسياسيّ والأريستوقراطيّ، إينوك باول، ألقى أواسط 1968 خطاباً عُرف بـ«أنهار الدم»، مهاجماً الهجرة من بلدان الكومنولث ومعارضاً التشريعات المناوئة للتمييز، مهدّداً بـ«أنهار الدم» إن لم تتوقّف هذه المسيرة.

الدم لم يسل، لكنّ ما كشفته التجربة، كنذير مبكر، وهو نفسه ما انفجر في السنوات الأخيرة، أنّ «الجماهير البريطانيّة الكادحة» تعاطفت معه، بينما عاقبته قيادة حزبه «النخبويّة»: قائد المحافظين إدوارد هيث عزله من منصبه كوزير دفاع في حكومة الظلّ. بعد ذاك مال باول إلى حزب العمّال، فكان تحوّله أحد أسباب فوز العمّال في انتخابات 1974.

تجربة باول خطّأت الأقنوم اللينينيّ عن وحدة عمّال الغرب الصناعيّ وحركة التحرّر الوطنيّ في المستعمرات. وهذا ما سيعمل المستقبل على تعظيمه. لكنّ نذير باول الذي صدم الستينات، الشبابيّة والمتعاطفة مع فيتنام، نمّ عن أنّ المياه أشدّ اختلاطاً ممّا يبدو ظاهرياً.

خلفيّات مسمومة

بلدان المعسكر الشرقيّ، وهي لم تتعرّض أصلاً للنقاشات التي عرفها الغرب الديموقراطيّ، كانت أشدّ تكتّماً حيال هذا الموضوع تحديداً. فهي ليست مجتمعات يقصدها مهاجرون، كما لا تشجّع على ذلك. لكنّ البلدان تلك، ذات اليافطة شبه الدعائيّة عن «الأخوّة بين الشعوب»، قدّمت للنقاش خلفيّات مسمومة.

فاللغة السوفياتيّة واظبت على استخدام تهمة «الفاشيّة» بإفراط وسخاء. هكذا نزعت عن المفهوم فرادته وخصوصيّته، فأضعفت فرادة الصراع ضدّ العنصريّة والكراهية وخصوصيّته. إجراءاتها الأمنيّة، التمييزيّة والمتزمّتة، حيال الأجانب واليهود، ترافقت مع عداء طوّرته الستالينيّة لـ«الكوزموبوليتيّة» (وغالباً ما قُصد بها اليهود) التي هي «هدّامة» و«إيديولوجيا جواسيس».

لكنّ الغرب الديموقراطيّ أكمل إقلاعه. في 1971 تبنّت كندا «التعدّديّة الثقافيّة»، وفي 1973 حذت حذوها أستراليا، وما لبثت بريطانيا وباقي أوروبا أن استوردت المفهوم من البلدين النائيين. إلاّ أنّ التعدّديّة أثارت من المشاكل بقدر ما حلّت: فهي تقوم على افتراض «الهويّات» الثقافيّة والإثنيّة والدينيّة وحداتٍ اجتماعيّة صلبة، وإن حضّت على التسامح بينها. وهي، أيضاً، وإن أحلّت «الاستيعاب» محلّ «الاندماج»، لم تقل مَن الذي يستوعب مَن. فحيال المساواتيّة بين الثقافات، لا تعود هناك ثقافة بعينها تملك ما تقدّمه للمجتمع الحديث، وتستوعب الآخرين الوافدين إلى الحداثة.

المسائل تلك ما كان لها إلاّ أن تتفاقم. فمع النصف الثاني من السبعينات، بدأت الاقتصادات الغربيّة طور انكماش وتراجع حفزَه ارتفاع أسعار النفط الهائل. هكذا قويت النزعة إلى تحويل المهاجرين أكباش محارق، وباشرت العنصريّة تطرق الأبواب.

«الجبهة الوطنيّة» الفرنسيّة عبّرت عن هذا التحوّل. في 1972 أسّسها جون ماري لوبين لتكون صوتاً يعيد الاعتبار إلى بيتان والتعاون مع النازيّة، وفي الآن نفسه منصّةً لمعاداة الهجرة والأجانب، ولمعاداة التقارب الأوروبيّ. حركة لوبين، المناضل القديم في حركات اليمين الشعبويّ، نبّهت إلى دلالات ثلاث:

- لم تعد العنصريّة تستند إلى اختلافات بيولوجيّة مزعومة، أو مزاعم تفوّق جوهري. صار ديدنها الاختلاف الثقافيّ: نحن متساوون إنّما مختلفون. إذاً ليُقم كلّ في بيته.

- بات العداء للأجانب والهجرة لا ينفصل عن العداء لأوروبا (التي اتّهم معظم اليسار مشروعها بالبورجوازيّة). إذاً مصلحة المهاجرين والأجانب ◀

ليست فقط غير متجانسة مع مصالح العمّال. إنّها أكثر تجانساً مع البورجوازيّة.

- اللاساميّة ومسامحة الهتلريّة خصم نظريّ لمصالح الأجانب والمهاجرين، وخصم عمليّ عند الحاجة.

المسار السبعينيّ

في 1977 بدأت تتصدّع قبضة الأحزاب التي ارتبطت بالتأسيس الوطنيّ لبلدانها: للمرّة الأولى منذ استقلال 1947، شهدت الهند هزيمة «حزب المؤتمر». إسرائيل كذلك، شهدت سقوط «العمل» للمرّة الأولى منذ نشأتها في 1948.

بعد عامين انفجر الغضب الإيرانيّ. باسم الإسلام، أطيح الشاه وسقط البلد في يد رجل الدين الغاضب آية الله الخميني. لكنّ إيران لم تكن الحلبة الوحيدة التي رقصت فوقها الهويّة الدينيّة عام 1979. آنذاك قام البابا البولنديّ يوحنا بولس الثاني بزيارته الشهيرة إلى بولندا. نصف مليون استقبلوه. عشرة ملايين حضروا قداديسه. السلطة الشيوعيّة انزوت كأنّها كرتون. بعد عام تأسّست نقابة «التضامن».

أيضاً في 1979، انتفضت أفغانستان باسم «الجهاد» ضدّ الحكم الشيوعيّ، وهو ما أجّجه الغزو السوفياتيّ أواخر ذاك العام.

الله بات فاعلاً سياسيّاً أنشط من الدولة.

«ما قبل» الدولة بات، إذاً، يقضم الدولة. «ما بعدها» بات أيضاً يقضمها. النيوليبراليّة، المعزّزة بتعاليم مدرسة شيكاغو، استولت على الأفق. في بريطانيا، وصلت ثاتشر عام 1979 إلى السلطة حاملةً إنجيلها النيوليبراليّ. بعد عام، وصل ريغان إلى البيت الأبيض.

النيوليبراليّة قالت إنّ المهمّ تشجيع الاستثمار ورفع سيف الضرائب عنه. أمّا الدولة وخدماتها وتقديماتها فينبغي تقليصها. ذاك أنّ الدولة «المشكلة لا الحلّ»، بحسب ريغان، و«لا يوجد شيء اسمه المجتمع»، بحسب ثاتشر. الفقراء؟ عليهم الصبر والتحمّل.

خطاب كراهيّتـ(نا)

العالم العربيّ لم يبق صامتاً. امتلك، هو أيضاً، ما يقوله في الكراهية. فعلى عكس الربط الحصريّ السائد بين ذاك الخطاب والغرب، شرعت اللغة السياسيّة العربيّة تتعدّى السياسة إلى الثقافة والاجتماع، وتتجاوز التخصيص إلى التعميم.

بين الأربعينات والسبعينات، طغى العداء للاستعمار على اللغة العنصريّة والجوهريّة. هذه كانت حال الناصريّة في متنها الأعرض. لكنْ مع ثورة الخميني، التي سبقها بأربع سنوات انهيار الدولة في لبنان، اختلفت الأمور. الجوهر يقابل الجوهر. الخير مقابل الشرّ. نحن كلّنا كلّ الخير. هم كلّهم كلّ الشرّ. والمخيّلة الخمينيّة يتقافز داخلها «شيطان أكبر» و«شيطان أصغر» لا يتعبان من الشيطنة.

توازى ذلك مع انحطاط القوميّة العربيّة الذي مثّله صدّام حسين. العالم عرب وعجم وصفويّون وفرس ومجوس. مكتبة لاساميّة تُرجمت في العراق. سبي بابل مجدّداً؟ لم لا. لقد مدّ صدّام يده بخفّة إلى المتحف فاستعار منه صورة المستقبل.

متحفا الكراهية الإيرانيّ والعراقيّ استهلكا الثمانينات في قتال مرير.

سكرة 1967 الإسرائيليّة وتوحيد القدس، ثمّ فوز ليكود الانتخابيّ بعد عقد، أمدّا بعض اليمين، وخصوصاً حاخاماته الأشدّ تزمّتاً، بألسنة تقطر حقداً. وبـ«قانون العودة»، والتماهي الجزئيّ بين الإسرائيليّة واليهوديّة، فضلاً عن ذيول المجابهات مع العرب، طوّرت الدولة العبريّة قابليّة للكراهية لا تتعب. في 1994 استعرضت هذه القابليّة نفسها: باروخ غولدشتاين، المستوطن والعضو في حزب «كاش»، قتل 29 فلسطينيّاً مسلماً كانوا يصلّون في الخليل. حكومة إسرائيل حظّرت «كاش»، لكنّ فحيح الكراهية قضم نصف السلام الموقّع، قبل عام، في أوسلو. عمليّات «حماس» الانتحاريّة واغتيال رابين وعنجهيّة الحواجز الإسرائيليّة تكفّلت بالباقي.

العولمة وتناقضها

مع فيضان الهويّة وانتقال الصراع مع الغرب من السياسة إلى الثقافة، أصبحت كراهية أميركا سمة ملازمة لتيّار ثقافيّ، أوروبيّ وعالم ثالثيّ، يمينيّ ويساريّ. صار مشروعاً، عند كلّ تناول لموقف سياسيّ أميركيّ مرفوض، التذكير بأنّ هؤلاء أنفسهم ذبحوا الهنود الحمر، أو تنميطهم بوصفهم بلد الهمبرغر وثقافة الكوكاكولا.

ومع كلّ صعود للنسبيّات الثقافيّة، كانت تزداد معاني التنوير والتقدّم هبوطاً. قيم الجماعات المتناحرة راحت، يوماً بيوم، تطرد قيم المجتمع والدولة الواحدين.

العولمة، في غضون ذلك، كانت تشقّ طريقها. ولأنّ ولادتها اقترنت بالنيوليبراليّة، تأذّى عن عملها تناقض صارخ: ثراء غير مسبوق، وسوء توزيع غير مسبوق. وإذ تقلّص حضور الدولة وتقديماتها، بعدما انهار الاتّحاد السوفياتيّ، راحت النيوليبراليّة تتصرّف كأنّها تنتقم من المسألة الاجتماعيّة برمّتها. ما انهار ليس النظام التوتاليتاريّ، بل أيضاً أفكار المساواة والرفاه. هكذا خفّ البريق الذي أحاط بمكاسب عظمى تلت نهاية الحرب الباردة، كسقوط العنصريّة في جنوب أفريقيا والديكتاتوريّة العسكريّة في أميركا اللاتينيّة. تقدّم الحرّية بدا رفيقاً لتراجع الرفاه.

على صعيد القيم، طرد التربّح القيم الأخرى. الرأسماليّ الجديد لم يعد رأسماليّ ماكس فيبر الذي يوفّر ويتعفّف. إنّه من ينفق ويستعرض.

سياسيّاً وإيديولوجيّاً شرع يسار الوسط يتراجع عن قناعاته السابقة: إنّه «الطريق الثالث». بلير البريطانيّ، وكلينتون الأميركيّ، وجوسبان الفرنسيّ، وشرودر الألمانيّ...، كلٌّ وجد وسيلته للتصالح مع النيوليبراليّة.

الفتى الأغرّ كان بيرلوسكوني، المليونير النصّاب الذي حكم، ابتداء بـ 1994، بلد ماكيافيللي وغرامشي. الأغنياء، وهم غير الأغنياء القدامى الصناعيّين والزراعيّين، باتوا يتبرّمون بمعايشة الفقراء. في إيطاليا مثلاً، ظهر حزب «عصبة الشمال»، قضيّته استقلال الشمال الغنيّ عن الجنوب الفقير. لقد أراد إنشاء «بادانيا» بلداً مستقلاً للشماليّين.

بيرلوسكوني كان تعبيراً فظّاً عن ظاهرة أعرض. فعلى صعيد تكوين النُخب، جُعل التعليم الجامعيّ لأبناء الطبقات الوسطى أصعب، ولأبناء الطبقات الدنيا والعمّاليّة شبه مستحيل. النخب الجديدة صارت أشدّ استعلاءً وزاد يأس المواطنين من سياساتها: الفوارق باتت ضئيلة بين الأحزاب، ونتائج الانتخابات لم تعد تغيّر. الإقبال على التصويت تراجع، ومثله الانتساب إلى أحزاب الوسط البرلمانيّ. الهوامش الشعبويّة، يساراً ويميناً، تنتفخ. الديموقراطيّة تتأزّم.

في 2000، في فيينا، وصل «حزب الحرّيّة» شبه الفاشيّ، بقيادة يورغ هايدر، إلى المشاركة في ائتلاف حكوميّ. في 2002، في باريس، تمكّن لوبين من بلوغ الدورة الثانية من الانتخابات الرئاسيّة. بدأ يتكشّف تمدّد لوبين وجبهته إلى القلاع العمّاليّة التي والت الشيوعيّين طويلاً.

الأصوليّة والإرهاب

لقد صار الفقراء، بسبب التلفزيون ثمّ باقي وسائل الاتّصال، أقدر على رؤية الأغنياء والتعرّف إلى عيشهم. لم يعودوا بحاجة إلى التلصّص من وراء الأسوار. العالم كلّه يعيش في زمن واحد. لكنْ في هذه «القرية الكونيّة» اشتدّ الغضب لأنّها بالضبط صارت قرية كونيّة. المسرعون نحو المستقبل لا يحملون إلى سكّان الزواريب والغيتوهات فيها أملاً يُعوّل عليه. الأخيرون اتّجهوا إلى الماضي، الفعليّ والمُتخيّل. ومن هذا الماضي الذي انشدّوا إليه كانت بلدانهم الأصليّة، حيث تُقرع بقوّة أجراس الهويّة، وحيث الاستبداد والعنف والتعصّب. لقد باتوا يهاجرون بأجسادهم فقط فيما أرواحهم تبقى هناك. سهّل الأمر أنّ السفر صار رخيصاً، واستقبال الأهل أو زيارتهم مرّة أو مرّتين في السنة غدا ممكناً، وهناك في لندن أو باريس يمكن للمهاجر أن يشاهد «الجزيرة» فيما يأكل سندويش فلافل. صار ممكناً أن يعيش المهاجر سنوات دون أن يتحدّث إلى أبناء البلد الأصليّين. وسائط الدمج، كالأحزاب والنقابات، ضُربت. الأحياء السكنيّة ومدارس الأطفال فُرزت. الغرب غدا مجرّد مكان.

ولأنّ العمّال المهاجرين فقراء تعريفاً، باتوا مرشّحين للنبذ، ما أعاد التنبيه إلى اختلافهم ديناً وثقافةً. سكّان الضواحي منهم ليسوا طبقة تُستَغلّ. إنّهم ما دون الطبقة، موضوعون خارج الاقتصاد. مطلبهم الضمنيّ أن يُستغَلّوا.

في الآن نفسه يتأذّى عن التقدّم التقنيّ شيخوخة الصناعات القديمة من سيّارات ديترويت إلى النسيج في شمال بريطانيا. ترحيل وحدات الإنتاج إلى الخارج، ثمّ الاتّفاقات التجاريّة العابرة للحدود، قلّلت فرص العمل التي جعلها التقدّم التقنيّ أصلاً قليلة. في المقابل، برامج التأهيل للاقتصاد الجديد ظلّت فقيرة ومحدودة تبعاً لنقص الموارد، وهذا مع أنّ البورصة تطيّر البلايين فوق رؤوس المواطنين، وسط صمت الدولة وعجزها، فيما التهرّب الضريبيّ بالبلايين يتصاعد. أزمة 2008 دفعت الأمور نحو الأسوأ: المصارف تسبّبت بالأزمة، والإعانة ذهب معظمها إلى المصارف.

الغضب...

الغاضبون، إذاً، كثيرون: بيض فقراء ضاعف غضبَهم خوف يشبه خُواف الانقراض: ذاك أنّ أعداد الملوّنين في المجتمعات التعدديّة تنمو بأكثر ممّا تنمو أعدادهم. غير البيض، خصوصاً المسلمين، غاضبون أيضاً. الإرهاب لم يعد يأتي من بلدانهم الأصليّة فحسب، إذ الهجرة إلى الغرب أضحت تنتج أيضاً إرهابيّيها.

بين البيض الفقراء من أحسّوا، منذ ضربة بن لادن في 2001، أنّ «المسلمين» خطر يقيم بينهم. باقي الأعمال الإرهابيّة في المدن الغربيّة أقنعتهم بأن «دولة القانون» لم تعد تضمن وتحمي. قبلاً، كانوا فقدوا الثقة بـ«دولة الرعاية» و«دولة النخبة».

بين المسلمين، تعزّز الشعور أنّهم مكروهون ومضطهَدون. هم في بلدانهم يعانون الاستبداد، وفي هجرتهم كذلك. منبوذون هناك ومنبوذون هنا، وليس لهم إلاّ الله، فليكونوا إذاً جنوداً لله. العراق في 2003، بقسوة الحرب الأميركيّة والفظاعات التي تصدّرها سجن أبو غريب، عزّز مناهضة أميركا بالحجج والذرائع. أسوأ قيمـ«نا» استنفرت في مواجهة أسوأ قيمـ«هم».

ولأنّ الغضب لا يفكّر، بل يشعر، ولا يرى إلاّ بعين واحدة، اختار الغاضب شريكه في الألم عدوّاً.

فحين زحف البائسون من اللاجئين بأعدادهم الضخمة شمالاً، متجاوزين الحدود والبحار، تراءى لبعض السكّان في البلدان المستقبِلة أنّ البرابرة وصلوا. بعضهم نسب إليهم فقره الماضي والآتي، بعضهم خاف على عدده، بعضهم، في وسط أوروبا وشرقها، حمّلهم قصوره السياسيّ الناجم عن كبت سياسيّ مزمن، أو حيرته بالحاضر والحدود ممّا لم يتصالح معه منذ انهيار الامبراطوريّة الهبسبورغيّة قبل قرن.

في الولايات المتّحدة أدّى المكسيكيّون هذه الوظيفة، معطوفين على أزمة عرقيّة، بيضاء–سوداء، ترقى إلى «كونفيدراليّة الجنوب». المسلمون لم يلجأوا إلى أميركا، لكنّ تركة 11 أيلول قابلة لأن تستيقظ في أيّ لحظة وتشملهم بلعنتها.

عناوين كثيرة استحضرها الوعي الرجعيّ كي يكره. في أوروبا، فضلاً عن اللاجئين والمهاجرين والأجانب، هناك «بيروقراطيّة بروكسيل». في أميركا، حيث صوّت أقلّ من نصف المقترعين لترامب، قيلت أشياء كثيرة في عدادها: ثماني سنوات من حكم امرأة بعد ثماني سنوات من حكم رجل أسود؟ ينبغي التصدّي لحكم الشيطان.

روسيا بوتين مضت بدورها تبثّ وعياً حدودياً وماضوياً، من جيرينوفسكي إلى دوغين: الحضارة المسيحيّة البيضاء مهدّدة بالمسلمين. «داعش»، في هذه الغضون، كانت تقطع الرؤوس وتبثّ صورها معلنةً أنّ الإسلام تهدّده الحضارة المسيحيّة البيضاء. والجميع، شرقاً وغرباً، وسّعوا سطوتهم على المواقع الإنترنت الضعيفة المصداقيّة والقويّة الانتشار، موفّرين للكراهية أعلى أصواتها وأشدّها بذاءة.

لقد تضافر من الأسباب ما يجعل الكراهية جريمة كثيرة الآباء: الاقتصاد والسياسة، العزلة والاختلاط، التخلّف والتقدّم، اليمين واليسار، الشرق والغرب. كلّنا، بمعنى ما، مرتكبون لأننا كلّنا بشر. لكنّ هذا التأويل شبه الميتافيزيكيّ لا يحول دون توجيه إصبع الاتّهام الأكبر إلى الحقبة الانتقاليّة التي نعيش. إلى تحوّلاتها والقلق الذي يحفّ بها. وكلّ منّا يختار، تبعاً لخلفيّته وتاريخ انحيازاته، عدوّاً له، يكرهه ويستمتع بكراهيّته.

* كاتب

جراح

حرب لبنان: مرجعيات إنشاءات الذاكرة

ملحم شاوول*

عمِل «سلام وصدقة» على الإحصاء الأول للمنشورات التي تغطي الفترة ما بين العامين 1975-1977، وتمّ نشره في طبعة محدودة النُسَخ. ولا شك في أن الكتاب موجود في مكتبة «جافت» بالجامعة الأميركية في بيروت حيث كان صدقة يعمل كأمين مكتبة. والسؤال الذي يُطرَح على ذاكرتنا هو: كيف يمكن تقطيع هذه الفترة الطويلة من خمس عشرة سنة إلى شرائح وفترات تتشارك في الترابط المنطقي ذاته للأحداث والأهداف السياسية والخطوات المطبقة؟

© أمين بعلبكي/غاليري صالح بركات/غاليري أجيال

على الرغم من وجود الكثير من التسلسلات الزمنية، لا بدّ من إجراء تقسيم لهذه الفترة الطويلة. وأنا أقترح اعتبار الفترة الممتدة من العام 1975 حتى العام 1982 مجموعة تستقي ترابطها من واقع أنها حرب بعض اللبنانيين (مسيحيين في غالبيتهم) ضد الوجود الفلسطيني المسلّح.

الفترة الثانية التي تلي الإجتياح الإسرائيلي من العام 1982 إلى العام 1990، تأخذ ترابطها من واقع إعادة هيكلة الدولة في ظل الوجود العسكري السوري، ومع الأخذ بعين الإعتبار المكوّن المسيحي على أنه خاسر في هذا الفاصل الزمني الذي سينتهي باتفاق الطائف.

الحرب على... أسماء الحرب

عشر تسميات تعرّف هذه الحرب، وتعكس في آن واحد الإستمرار في النزاع في الرؤية ذاتها التي نملكها عنه.

1 - الحرب الأهلية:

منذ العام 1976، أدخل كمال صليبي، وهو جامعي بارز، مصطلح «الأهلية» لتوصيف الحرب التي كانت في طور الاندلاع. وفي كتابه الشهير بعنوان «مفترق الطرق إلى الحرب الأهلية»، اعتمد هذا المصطلح، وحلّل الجذور التاريخية للحرب عبر التحولات والفوارق الاجتماعية المتأصلة في المجتمع اللبناني. وهذا هو مفهوم الحرب والتوصيف اللذان استخدمتهما كلّ من الحركة الوطنية، والأوساط اليسارية، والمثقفين الذين كانوا يُسمّون آنذاك بالإسلاميين التقدميين (كمال حمدان، فواز طرابلسي)، والعديد من الأكاديميين والصحفيين ذوي الثقافة الأنغلوساكسونية.

2 - الحرب الهمجية:

إجترح أحمد بيضون هذا المصطلح، أي «الحرب الهمجية» في «ما علمتم وذقتم: مسالك في الحرب اللبنانية»، في العام 1992، ولكنه يغطي الحرب منذ العام 1976. يخفي مصطلح «همجية» أموراً عدة، بل أجهزة الحرب اللبنانية كلّها: الميليشيات وعمليات الابتزاز والسرقة، وبخاصة المجازر بحق المدنيين على يد الهمجيين والنزوح القسري. تندلع الحرب دائماً ضد المدنيين وضد المدنية.

3 - الحرب بالنيابة عن الآخرين:

في خضم مناقشة الأسباب الداخلية للحرب وصفتها الأهلية، برز في العام 1984 كتاب غسان تويني الذي أنشأ نهجاً للحرب في لبنان على أساس نظرية الحرب بالوكالة. بالنسبة إلى تويني، الجهات الخارجية والإقليمية هي العناصر الحركية لحرب لبنان، تقوم بالتمويل والتسليح وتوفير العتيد والعتاد. ولكنّ هذا لا يعني أنّ الجهات الداخلية بريئة، أي المجموعات اللبنانية، فتواطؤها كامل، ووافقت على أن تفعل في السياسة ما كانت تفعله منذ قرون عدة في التجارة، ألا وهو أن تكون الممثل الحصري لجهات خارجية.

4 - حرب الآخرين:

بعد تحوّل دلالي وجرعة كبيرة من النية الطيبة، تحوّلت الحرب بالنيابة عن الآخرين إلى حرب الآخرين. نجد أنفسنا هنا ضمن رسم توضيحي مختلف تماماً للحرب، لأنه يتهم اللبنانيين الذين أصبحوا من خلال مصطلح «الآخرين» متفرجين سلبيين ضمن مواجهة تتخطاهم. واتخذت هذه التسمية التي تطلق على حرب لبنان دلالة شبه رسمية خلال ولاية الرئيس الياس الهراوي.

أ) حرب لبنان.

ب) الحرب في لبنان.

ج) الحرب اللبنانية.

بالنسبة إلى الباحثين والمفكرين، كان لا بدّ من إيجاد مصطلح حيادي لتوصيف هذه الحرب. لذا، لم يعد التحدي يحدد التسمية، بل هوية المكان الذي يحويه. إذاً ـ أصبح المصطلح حرب لبنان (سمير قصير، أحمد بيضون، أنطوان جبر) أو الحرب في لبنان (جوناثن راندل):

أ) حروب لبنان.

ب) حروب الآخرين في لبنان.

ج) الحروب الملبننة.

مع تقدم الأبحاث حول حرب لبنان، أصبح من الواضح أن استخدام صيغة المفرد («الحرب») لا يبيّن واقع هذه الظاهرة التي امتدت على مدى 15 عاماً، وتغذت من التدخل العسكري السوري واجتياحين إسرائيليين. لذلك لم يكن ثمة حرب واحدة، بل حروب. قدّم بطرس لبكي وخليل أبو رجيلي في كتابهما المشترك الذي صدر في العام 1993 باللغة الفرنسية «كشف حروب لبنان»، عرضاً للحروب اللبنانية. وكانت صيغة الجمع أيضاً الصيغة التي فضلها الباحث وضاح شرارة والصحفي حازم صاغية. فقد اخترع الأول مصطلح «الحروب الملبننة»، وتحدث الثاني عن الحروب الداخلية والخارجية في لبنان. وبعد هذه المحاولة الرامية إلى تحديد موضوع ذاكرتنا الجماعية، نقترح اعتبار مصطلح حرب أهلية أكثر المصطلحات الخاطئة، ومصطلح حروب لبنان الأكثر اتساقاً مع الواقع.

الأماكن وتسمياتها

أطلقت على الأماكن والجهات تسميات في خلال الحرب، بعيداً عن تسميتها الرسمية المستخدمة عادةً.

بيروت: إذا أوقفك حاجز على الطريق، لا تستطيع أن تقول «أنا من بيروت،» بل عليك أن تحدد «بيروت الشرقية أو بيروت الغربية». وتضمّ بيروت الشرقية قطاع الأشرفية الواقع تحت سيطرة القوات اللبنانية التي تديرها الأحزاب المسيحية التابعة للجبهة اللبنانية، بينما تضم بيروت الغربية المنطقة المقابلة الواقعة تحت سيطرة ميليشيا الحركة الوطنية وأحزاب اليسار والمنظمات الفلسطينية.

المناطق: كان ينبغي أيضاً معرفة كيف يصف كل طرف «منطقته» وكيف يصفها أعداؤه من جهتهم. كانت القوات اللبنانية تطلق تسمية «المناطق المحررة» على المنطقة الممتدة من بيروت الشرقية حتى الضاحية الشمالية الشرقية ونصف المتن وكسروان وجبيل والمنطقة الجنوبية من البترون. أما أحزاب الحركة الوطنية وأحزاب اليسار، فكانت تطلق عليها تسمية «المناطق الانعزالية» وعلى أحزاب الجبهة اللبنانية تسمية «القوى الانعزالية». وكانت الحركة الوطنية تطلق تسمية «المناطق الوطنية» على المنطقة الممتدة من بيروت الغربية باتجاه جنوب لبنان وجنوب جبل لبنان، بينما كانت القوات اللبنانية تصفها «بالمناطق المحتلة».

اعتباراً من العام 1977، أصبح شمال لبنان وسهل البقاع «المناطق السورية».

خطوط التماس وصوت العبور

كان خط التماس الرئيسي يمر عبر بيروت من منطقة المرفأ في الشرق حتى المخرج على مستوى الحازمية على طريق الجبل. إذاً كان يقسم بيروت إلى قطاعين محددين بوضوح. وكانت المعابر تنتشر على طول هذا الخط، وكان يمكن أن تكون مفتوحة أو مغلقة بدون أي معرفة مسبقة بذلك من سالكيها.

(نص مترجم من الفرنسية)

* أستاذ في علم الإجتماع في الجامعة اللبنانية

المصادر الرئيسية المطبوعة

مذكرات

- أمين الجميل: L'Offense et le pardon, Gallimard, 1988
- كميل شمعون: مذكرات وذكريات، المطبعة الكاثوليكية، 1979
- كمال جنبلاط: من أجل لبنان، Stock, 1978

الصور والتسلسل الزمني

- السفير، مركز التوثيق، لبنان 1982: يوميات الغزو الإسرائيلي، وثائق وصور. صور ومستندات عن الاجتياح الإسرائيلي في العام 1982.
- جوزيف شامي: نصب الحرب، 1975-1990. يغطي عهد كل من سركيس والجميل.
- جوزيف شامي: كتابان عن حرب 1975-1976 و1977-1982. صور ومستندات وتسلسلات زمنية.
- رينيه شموسي: عرض زمني لحرب، لبنان 1975-1977، 1978 ، Desclé.
- ستافرو جبرا: الحياة والموت بدون أسطورة، 1982، صور.
- زافين قيومجيان: 2003، Shot Twice. يستحضر هذا الألبوم الذاكرة مباشرة من خلال إظهارها بفارق 30 أو 20 أو 15 سنة في الأماكن عينها والأشخاص عينهم. كيف كانوا وكيف أصبحوا.

الأعمال الابتكارية

- مسرحيات زياد الرحباني ورفيق علي أحمد وروجيه عساف ويعقوب الشدراوي.
- أقراص الأفلام عن الحرب اللبنانية من إنتاج محطة «الجزيرة».
- أعمال ماريا شختورة عن الكتابة على الجدران: حرب الكتابة على الجدران ومعرض جدران الخجل، 1975-1978.
- زينة أبي راشد: لعبة السنونو، رسوم كرتون عن الحرب في الأشرفية.

السينما

- أفلام مارون بغدادي: حروب صغيرة، خارج الحياة، الرجل المحجب.
- فيلم برهان علوية: «بيروت- اللقاء».
- فيلم رامي دويري: «ويست بيروت».
- فيلم نادين لبكي: «وهلق لوين؟».

المصادر السمعية والأغاني

- مارسيل خليفة: ريتا، يا بحرية، سنزرع في الشياح مليون أقحوانة...
- أغاني القوات اللبنانية المتوفرة على قرص مدمج في مؤسسة بشير الجميل، وأهمها: الأشرفية البداية، بداية البشير...
- أغاني باسكال صقر، وأهمها: «لبنان واحد».

كل هذه الأغاني ملتزمة ومؤلفوها/مغنوها نشطاء محسوبون على طرف (التقدمي الإسلامي اليساري) أو آخر (الميليشيا المسيحية). يمكننا أن نذكر أيضاً أغاني فيروز الوطنية (بحبك يا لبنان) وماجدة الرومي (راجع يتعمر لبنان - يا بيروت).

عدالة

«لا سلام من دون عدالة»

العدالة الانتقالية في لبنان: مقاربة تنصف ضحايا الحرب والعنف السياسي وتعيد ثقة المواطنين بالدولة

كارمن حسون أبو جودة*

لكي نتذكر حرب 1975 يجب أن تكون هذه الحرب قد انتهت. لكن هل انتهت حقاً؟ هل سكوت المدفع هو علامة السلام؟ وما هي مقومات السلام الحقيقي والدائم؟

من اللافت أننا نتذكر 13 نيسان 1975 كتاريخ البداية الرسمية لما يسمّى «الحرب الأهلية»، ولا نتذكر أو نحتفل بنهايتها، كما هي الحال مع مناسبات يجري الاحتفال بها في ذكرى انتهائها كالحرب العالمية الثانية عام 1945. لماذا لا نحتفل ببدء السلام بل ببدء الحرب؟ هل لأن لدى الكثيرين شعوراً بأنها لم تنتهِ حقاً وأنها مستمرة بوسائل وأدوات أخرى؟ فالحرب ما زالت حاضرة إن من خلال الخطب التحريضية والمعارك الطائفية-السياسية، أو من خلال الحروب الصغيرة. والحرب كأنها لم تنتهِ طالما نخاف أن تعود في كل لحظة ومن شبه المحظور التكلم عنها أو كتابتها. وهي كأنها لم تنتهِ طالما لم ندمجها في برامج تربوية وثقافية وتعليمية تروي وقائعها ونتائجها، وتتيح للأطفال والشباب فهم بلادهم من خلال تفكير تاريخي نقدي يساهم في تجنب تكرار العنف والأزمات، وبناء سلام حقيقي ودائم.

جيل لا يعرف من الحرب سوى اسمها

عندما أتواصل مع مجموعات من الطلاب خلال محاضراتي في المدارس والجامعات حول الحرب وأثرها على الناس والمجتمع، أُفاجأ بغالبية ساحقة لا تعرف عنها سوى اسمها، حيث لا تملك سوى أقلية صغيرة معلومات تاريخية صحيحة. معهم لا أتكلم فقط عن الماضي الذي عشته حين كنت في أعمارهم، أو الذي عرفه آباؤهم وأمهاتهم، بل عن العنف الذي يستمر والذي عايشوه وربما كانوا ضحيته هم أيضاً. ففي العقد الأخير عاش جيل الشباب حروباً قريبة أو بعيدة. يشاهدون الحرب في سورية منذ 2011 وتداعياتها من قتل وتهجير وإخفاء قسري وعنف مباشر امتد إلى بلدهم. ويتذكرون حرب 2006 التي تركت أثراً في عدد كبير منهم، ولم ينسوا بدءاً من 2005 مسلسل الاغتيالات والتفجيرات والنزاعات المسلحة الداخلية من بيروت إلى نهر البارد إلى طرابلس إلى عبرا. علينا أن نعترف: لم ننجح في حماية أولادنا من العنف السياسي، ولم تنجح مؤسسات الدولة في ضمان أمنهم وعدم تكرار انتهاكات حقوق الانسان.

من حقّ هذا الجيل أن يتساءل لماذا يتكرّر العنف ويستمر، ومن حقه أن يعرف أسباب هذا العنف، ومن حقه أيضاً أن تحميه دولته منه. نحاول كإخصائيين ومهنيين في مجالي بناء السلام والعدالة الانتقالية أن نفكر ونعمل من أجل توعية الشباب والمجتمع اللبناني إلى أهمية معالجة العنف السياسي من منظور إنساني وتربوي يساهم في وضع أسس صحيحة وصحية لسلام حقيقي ودائم.

لن نعود هنا إلى ظروف وضع اتفاق الطائف وما بعده الذي كتب عنه الكثير لكن سنحاول وضعه في سياق مفهوم العدالة الانتقالية التي ترتكز على آليات أو مبادرات تعطي الحيّز الأهم لضحايا العنف السياسي والانتهاكات الجسيمة لحقوق الانسان في مرحلة الانتقال من الحرب إلى السلم أو في مرحلة التحوّل الديمقراطي من نظام استبدادي إلى دولة تحترم الحريات. بالإضافة إلى محاكمة المسؤولين الرئيسيين عن الانتهاكات تساهم الإجراءات غير الجنائية في إنصاف الضحايا منها لجان الحقيقة التي من شأنها المساهمة في الكشف عن الحقائق والاعتراف بمعاناتهم. فعكس المحاكمات التي يشارك فيها عدد قليل من الضحايا، تسمح لجان الحقيقة لأعداد كبيرة من الضحايا بالتعبير عن قصصهم وعذاباتهم والارتكابات التي مورست ضدهم. وغالباً ما توصي هذه اللجان بوضع برامج جبر الضرر الفردي كما الجماعي في حال تعرضت مجموعات أو قرى بأكملها للانتهاكات الجسيمة. كما تُعتبر مبادرات التذكّر وتخليد الذكرى والاعتذارات العلنية كشكل من أشكال الانصاف والاعتراف بالحقيقة ومعاناة الضحايا. ويُضاف إلى الإجراءات الأساسية في المرحلة الانتقالية الاصلاح المؤسساتي، القضاء والقطاع الأمني خصوصاً، وقد يشمل تعديل دستور البلد والقوانين لكي تتوافق مع المعايير الدولية لحقوق الانسان.

لا سلام من دون عدالة - © عمل للفنان التشكيلي الخطاط فادي العويد

أي عدالة في لبنان؟

في العودة إلى لبنان، بعد 1990 لم تكن العدالة الانتقالية خيار حكومات «السلم الأهلي»، ولم تكن القيادات السياسية الحاكمة التي أفرزتها الحروب في وارد محاسبة نفسها أو الافصاح عن كل الحقيقة في كتب التاريخ أو تخليد ذكرى الحرب. فبينما يتذكر اللبنانيون 13 نيسان كتاريخ مشؤوم ويقوم المجتمع المدني ببعض مؤسساته بإحياء الذكرى «لكي لا تنعاد»، لا تزال الدولة اللبنانية ترفض اعتباره يوماً وطنياً للتذكر واستخلاص العبر. من هنا تداول تعبير «الامنيزيا» أو فقدان الذاكرة الرسمية التي صنعتها الطبقة السياسية في محاولة لشطب 15 سنة وأكثر – كي لا نستثني 15 سنة وصاية سورية وانتهاكاتها - من ذاكرة اللبنانيين ومنعها عن البرامج المدرسية. كما لم تتوقف الدولة بأجهزتها عن منع الأفلام ومراقبة الانتاج الفني المتمحور حول الحرب بحجة «المحافظة على السلم الأهلي»، وتفادي «النعرات الطائفية»، وما إلى هنالك من حجج غير مقنعة وغير مفيدة.

انتهت الحرب بتسوية سياسية – وليس باتفاقية سلام - بين القيادات الميلشياوية بمباركة عربية ودولية. تصالحوا في ما بينهم وسوّقوا للمقولة الخرافة «لا غالب ولا مغلوب» إذ، في الواقع، جزء من القوى التي اشتركت في الحرب خرجت خاسرة ومغلوبة. أسطورة أخرى من أساطير الحرب نرددها: «الكل مرتكبون والكل ضحايا». شعار طمس حقوق ضحايا الحرب وخصوصاً المفقودين وعائلاتهم، وبرّر العفو عن المرتكبين من خلال قانون «عفى عمّا مضى»، مع استثناءات صنّف فيه الضحايا وميّز بينهم. فقانون العفو الذي تبناه عام 1991 نواب مجلس مشكوك في شرعيته، انتُخب عام 1972، استثنى الجرائم التي ارتكبت بحق القيادات السياسية والدينية والدبلوماسيين الأجانب والتي أحيلت إلى المجلس العدلي بينما عفى عن مرتكبي الجرائم بحق الناس العاديين. هكذا تمّ فرض «السلم الأهلي» على أنقاض العدالة والانصاف وحقوق الناس. بعد سنوات طويلة من المعاناة والحروب، لم يحاول اللبنانيون تحدي أو رفض التسوية - الصفقة والإجراءات اللاحقة المرتبطة بها. أرادوا فقط أن يصمت المدفع وأن يعيشوا حياة طبيعية وكريمة. تمّت مقايضة العدالة بسلم أهلي موعود وحكم القانون بوصاية نظام لا يحترم العدالة ولا حقوق الانسان، ومعها استمرت ثقافة الإفلات من العقاب من أعلى الهرم إلى أسفله.

نعود إلى العدالة الانتقالية كمقاربة أساسية لمواجهة عنف الماضي البعيد والقريب وبناء سلام حقيقي ودائم. في لبنان شكّل معالجة ملف المهجّرين خلال الحرب الإجراء الوحيد الذي قامت به الدولة من منظار جبر الضرر المادي، بإنشاء وزارة المهجرين وصندوق تعويضاتها. لكن نعرف جيداً أن العملية لم تكن على قدر توقعات عشرات آلاف ضحايا النزوح، إن من خلال عدم الاعتراف صراحة بمعاناتهم، أو من خلال موازاتهم بالمرتكبين المسؤولين مباشرة عن تهجيرهم وقتل عائلاتهم، أو أيضاً من خلال عملية مشبوهة شابها الفساد والمحسوبيات. حُكي عن العودة والمصالحة في قرى الجبل لكن لم يتكلم أحد عن الضحايا ومشاعرهم وحقوقهم بالانصاف والعدالة. أما قضية المفقودين فتبقى محورية في أي محاولة لبناء سلام حقيقي في لبنان. لكن هل الطبقة السياسية مستعدة لمعالجة جدية لهذه القضية ومنها من كان مسؤولاً خلال الحرب عن خطف واخفاء وتصفية الآلاف منهم؟ ما العمل إذاً لبناء سلام حقيقي ودائم في لبنان؟ وماذا يمكن أن تقدم إجراءات العدالة الانتقالية؟ وكيف يمكن الضغط على الدولة اللبنانية من أجل تبنيها ضمن سياساتها؟

في غياب الإرادة السياسية لمعالجة ملفات الحرب العالقة، قامت في السنوات الأخيرة جمعيات من المجتمع المدني بمبادرات من شأنها المساهمة في مواجهة الماضي، وتمحورت حول مشاريع ونشاطات تحيي ذاكرة الحرب وتشجع الحوار بين الأجيال والمصالحة. وركّز بعض منها على نشر الوعي وتحفيز المجتمع والضغط على الحكومات من أجل معالجة قضية المفقودين. ونُشرت العديد من التقارير والدراسات حول تداعيات الحرب منها من شدّد على أهمية معالجة آثارها من خلال العدالة الانتقالية. ففي عام 2014، وضع ائتلاف من جمعيات من المجتمع المدني وعدد من الأكاديميين، بدعم من المركز الدولي للعدالة الانتقالية، مجموعة من التوصيات يمكن أن تشكل خارطة طريق ناجعة لمواجهة الماضي وإنصاف ضحايا العنف السياسي مما يتيح بناء أسس سليمة لمصالحة حقيقة بين الجماعات والأفراد، ومن ضمنهم الفلسطينيون والسوريون[1].

«لا سلام من دون عدالة» ليس شعاراً بل هو ممارسة ومسار اختارته أمم عرفت الحروب والاستبداد. المحاسبة الجنائية هي جزء أساسي من العدالة التي من شأنها الحؤول دون تكرار العنف والحروب، ووضع حدّ للإفلات من العقاب. لكن العدالة أيضاً هي في إنصاف ضحايا العنف السياسي وبشكل أساسي من لا يزال يعاني بشكل مستمر كعائلات المفقودين. والعدالة هي في إفساح المجال للجيل الجديد لمعرفة ما الذي حدث في بلده، ولماذا وذلك من خلال السماح للمؤرخين والتربويين بوضع برامج تربوية وتثقيفية متكاملة تدوّن الوقائع التاريخية للبنان، وتروي وتحترم ذاكرات الجماعات اللبنانية وغير اللبنانية التي تعيش على أرضه. والعدالة هي في وضع حدّ للتمييز بين المواطنين والمواطنات في لبنان، كما السماح لضيوفه اللاجئين بالعيش بكرامة وإنسانية لكي لا ينقادوا إلى الحقد والتطرف والعنف. والعدالة هي في تنمية المناطق المهمّشة والفقيرة وإصلاح مؤسسات الدولة وتطبيق حكم القانون من أجل استعادة المواطنين ثقتهم بها. وعند إحقاق العدل والانصاف، وعندها فقط، يمكن أن نتكلم عن سلام ويمكن أن نتعلم من الماضي لكي لا يتكرر، وأن نبني مستقبلاً آمناً ومستقراً لأبنائنا والأجيال المقبلة.

(1) https://www.ictj.org/sites/default/files/ICTJ-Lebanon-Recommendations-2014-AR.pdf

* باحثة في مركز الدراسات للعالم العربي المعاصر في جامعة القديس يوسف، مديرة مكتب لبنان في المركز الدولي للعدالة الإنتقالية سابقاً

تحدّيات

المقابر الجماعيّة في لبنان: بقايا من الماضي أم تحدّيات للمستقبل؟

وديع الأسمر*

في بلاد تكافح لتخطّي الحرب الأهلية والبدء بالعمل الحقيقي على الذاكرة والمصالحة، يبدو طرح قضية المقابر الجماعية أشبه باستفزاز، لأنّ جراح الحرب ما زالت حاضرة بقوة. ولكن هل ينبغي أن نسكت ولا نفكر في أفضل طريقة لتقديم إجابات إلى المتضررين من هذه المأساة؟

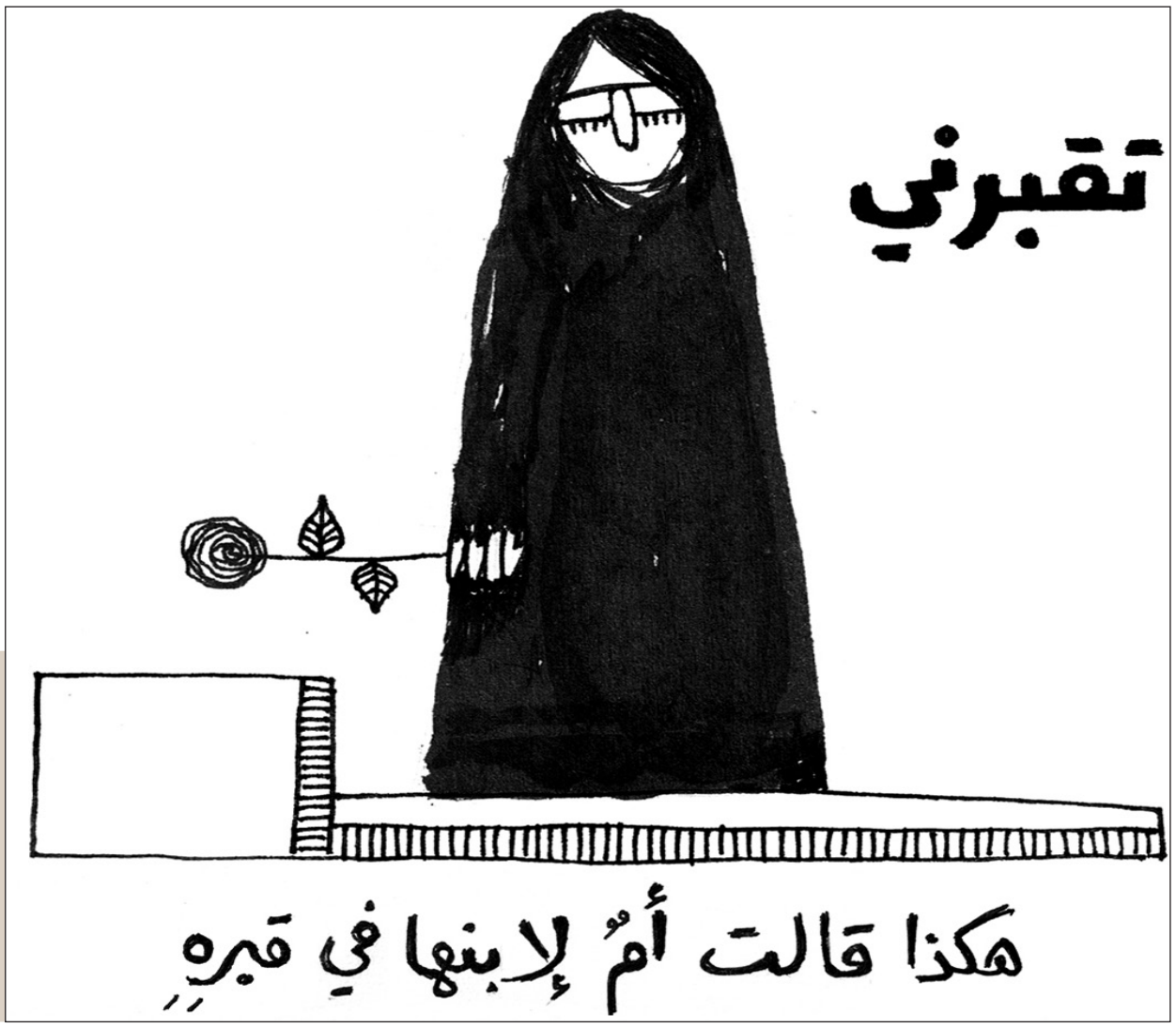

© جنى طرابلسي وعبد قيسي، رسم لجريدة السفير نيسان 2009

الجواب عن هذا السؤال معقّد. ينبغي التأكيد أولاً على أنّ استحضار مسألة المقابر الجماعية لا تعني بأي حال من الأحوال إقراراً بأنّ ضحايا الاختفاء القسري في لبنان كلهم قد لقوا حتفهم. لقد حدّد المركز اللبناني لحقوق الإنسان[1] وجمعية دعم المعتقلين والمنفيين اللبنانيين (سوليد)[2] مئات الضحايا الذين تم ترحيلهم إلى سوريا المجاورة ووثقوا هذه الحالات، إذ ما انفكّت عائلاتهم تتلقى أدلة تشير إلى أنهم ما زالوا على قيد الحياة. وبصرف النظر عن هذه المئات من الحالات، لا بد من النظر في كيفية تقديم إجابات إلى عائلات الضحايا التي بقي أقرباؤها في لبنان وإلى المجتمع اللبناني ككل أيضاً.

لا شك في أنه لا ينبغي أن تكون مقاربة معالجة هذه القضية الحساسة فجة، فنحن نتحدث عن رفات بشرية وذاكرة صراع مشتعل تحت رماد سلام هش جداً. وفي تصريح لوكالة «فرانس برس» بتاريخ 13 نيسان 2015، قالت وداد حلواني[3]: «لا نريد إلا أن نعرف مصيرهم، وأن نقيم لهم مقبرة نتمكن من زيارتهم فيها»...

لا تساوي معارضة فتح المقابر الجماعية نسيان وجودهم. والنقاش المطروح في المجتمع اللبناني متعدد. وتوقظ قضية المقابر الجماعية شياطين الماضي بسرعة هائلة، فالاعتراف بوجود مقابر جماعية أشبه بقبول حقيقة أنّ الحرب لم تكن صدفة، بل تتابع جرائم منظمة ومخطط لها. أما اتخاذ موقف فتح المقابر الجماعية بدون استراتيجية حقيقية فهو مخاطرة مزدوجة. تكمن المخاطرة الأولى بإحياء جراح الماضي التي لم يقم أحد بشيء لمواجهتها وبلسمتها، بينما تتمثل المخاطرة الثانية بفقدان المعلومات التي تحميها الطبيعة لنا بدقة بسبب عدم كفاءتنا.

عندما نتحدث عن المقابر الجماعية اليوم، علينا أن نتذكر أننا نتحدث عن 400 موقع في مختلف أنحاء لبنان، وقد حددت المنظمة غير الحكومية، مركز أمم للتوثيق والأبحاث، عشرين موقعاً، وهذا عمل ذو كلفة هائلة[4]. وتركز المنظمة غير الحكومية هذه عملها اليوم على تحديد مواقع مقابر جماعية على مقربة من أماكن اعتقال سابقة. ويندرج هذا العمل ضمن صراع طويل بدأته في الثمانينات عائلات لجنة المخطوفين والمفقودين في لبنان، ودعمته مذّاك منظمات عدة من المجتمع المدني. وبالإضافة إلى جهود الأرشفة والتحديد، أدى هذا العمل إلى تقديم شكاوى عدة بدعم من محامين، وبخاصة محاميي المفكرة القانونية[5]، وهي منظمة دعمت الأسر في شكواها أمام مجلس الدولة، مما أدى إلى اعتراف أعلى هيئة إدارية في لبنان بحق العائلات بمعرفة مصير مفقوديها أو مخطوفيها. وقبل صدور هذا القرار، سمح قرار آخر بوضع ثلاث مقابر جماعية قانونية محددة في بيروت وضواحيها تحت حماية قانونية.

وسمحت هذه الجهود، جنباً إلى جنب مع جهود عدة لجان للعائلات وتنظيم المجتمع المدني، بإبقاء قضية المفقودين تحت الأضواء على المستوى الوطني، وسمحت أيضاً بمعارضة أي محاولة لتدمير المقابر الجماعية عندما كانت هذه المحاولات معروفة.

إنّ حماية المقابر الجماعية للمحافظة على الذاكرة المطمورة ضرورية ما دام لبنان لا يتمتع بآليات فنية وقانونية تمكّنه من استكشاف محتوى هذه المقابر.

سيكون من الكارثي الشروع في الافتتاح الخطِر للمقابر الجماعية بدون أي آلية تحديد لأرشفة البيانات التي تم جمعها وإدارتها، كما يحدث في قبرص[6] المجاورة على سبيل المثال، حيث وضعت لجنة تشارك فيها مختلف أطراف النزاع عملية تحديد هوية الجثث واستخراجها وإعادتها إلى أسرها. ولكنّ لبنان ليس مستعداً الآن لمواجهة ماضيه، وهو أقل استعداداً حتى لاستخدام البيانات التي يتم جمعها لتوفير الإجابات اللازمة لأسر الضحايا، وتجنب تأجيج فتح المقابر الجماعية لانقسامات وصراعات الحرب الأهلية.

تمثل المقابر الجماعية في لبنان ذاكرة الحرب، ولكنها أيضاً تمثل الرفات التي ستتيح لآلاف العائلات اللبنانية طيّ صفحة هذه الحرب. وعند طرح الموضوع بطريقة تتجاهل إحدى هذه الأبعاد، نواجه مخاطرة ظلم هؤلاء الضحايا مرتين؛ مرة بحرمانهم من مقبرة لائقة في الماضي، ومرة بتحويلهم إلى عنصر تقسيم عند نبش جثثهم.

يشكّل تناول قضية المقابر الجماعية ونبش الجثث بدون التفكير في مسألة الحقيقة والعدالة والمصالحة في لبنان مخاطرة في المستقبل، لأنّ هؤلاء الضحايا المدفونين هم ضحايا صراع ينتظر أن يتأجج، ونحن مدينون لهم من باب احترام آلامهم ومعاناة أحبائهم بعدم تحويلهم إلى أسباب لتجدد الصراع.

ولكن هل ينبغي إذاً الوقوف مكتوفي الأيدي؟ بالطبع لا. يبدو من الضروري الاستعداد للمستقبل، وإلزام الحكومة اللبنانية بتأليف لجنة وطنية مستقلة لضحايا الاختفاء القسري والمفقودين في الحرب، وأيضاً بالبدء بتدريب قوات أمن للتعامل مع المقابر الجماعية والجثث التي يتم استخراجها، وإدارة بيانات الحمض النووي التي يتم جمعها في المستقبل، وكذلك جمع بيانات الحمض النووي من العائلات لإتاحة المقارنة بينها.

لا ينبغي أبداً استبعاد إمكانية اكتشاف مقابر جماعية بشكل عرضي، ويجب أن تكون الدولة قادرة على التعامل بطريقة مناسبة مع الرفات التي يتم نبشها وتسليمها إلى عائلاتها بكرامة.

وأخيراً، ليست المقابر الجماعية إلا آثاراً همجية مجرمي الحرب في لبنان، لذا أي نهج من شأنه إخفاء هذه الجريمة سيعدّ لجرائم مماثلة في المستقبل.

يحتاج لبنان إلى بناء السلام مع ذاكرته ليتمكن من بناء مستقبل سلمي، وتمثل المقابر الجماعية انتقالاً رمزياً نحو هذا المستقبل الذي يعتمد على كيفية تعاملنا معها.

(نص مترجم من الفرنسية)

* مدير المركز اللبناني لحقوق الإنسان

(1) المركز اللبناني لحقوق الإنسان (www.cldh-lebanon.org)
(2) جمعية دعم المعتقلين والمنفيين اللبنانيين (سوليد) (www.solidelb.org)
(3) رئيسة لجنة أهالي المخطوفين والمفقودين في لبنان
(4) http://www.memoryatwork.org/index.php/subtopic/1/2013/10081
(5) www.legal-agenda.com
(6) www.cmp-cyprus.org

تاريخ شفهي

قصصنا في الحرب... وعنها

هل عايشت الحرب الأهلية في لبنان؟ هل عايشت الحرب وما زلت تعايشها في سوريا؟
أسئلة طرحها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ضمن إطار دعوة للكتابة عن قصص الحرب تم الإعلان عنها على مواقع التواصل الإجتماعي التابعة للبرنامج. وقد تم تسلُّم العديد من القصص بناء على جملة من الشروط أبرزها أن تناقش مواضيع تعكس تجربة شخصية في الملجأ، أو تجربة الإختباء من القصف في المنزل، أو تجربة شخصية عن الهروب. في ما يلي ما تم اختياره من قصص:

شظايا الذاكرة

عائشة يكن

ليس من عادتي أن أكتب بالعامية.. ولكن ذكريات الحرب أعادتني إلى أعماق طفولة مبعثرة لم أعرف التعبير عنها بلغة فصيحة.
مين هنّ؟ ومين نحنا؟ حدا يقلّي مين..
وين كانوا؟ وين صرنا؟ ولوين مكمّلين؟
نحنا ولاد الحرب.. وهنّ ولاد مين؟
كيف كنا؟ كيف صرنا؟ كيف قطّعنا؟ ما عرفنا؟
ليش ماتوا؟ ليش عشنا؟ مين هنّ؟ مين نحنا؟
هنّ راحوا.. ليش بقينا؟ نحنا جيل الحرب..
هيك سمّونا.. هيك ربّونا.. هيك كبرنا..
وبعدنا جيل الحرب..
أي حرب؟ وليش الحرب؟ مين بدو الحرب؟
حدا يقلي مين..
«بابا بابا.. كيف جارنا صار عدونا؟ وانقطعت الزيارات..
إذا نحنا غلطنا سامحونا.. ورجعولنا البسكليتات..
خلونا نلعب سوا ونكمّل الحكايات..
خلونا نشيل المتاريس ونلعب بالحارات..».
بوم بوم بوم
«ماما اركضوا.. ماما اهربوا
ابعدوا عن الشبابيك..
اوعا تقرّبوا.. تخبّوا تخبّوا واحتموا بالعواميد»
الرصاص عم ينزل متل الشتي
الرصاص عم يفوت على البيوت..
رصاص طايش.. رصاص مش طايش..
والصواريخ طالعة نازلة
مش عم ترحم حدا..
بنايات عم تتخردق
بنايات عم تندك..
كلو بيصيب.. كلو بيقتل..
كلو بيدمّر.. كلو بيحرق..
وبعدين معكم بعدين؟
خلّوني نام.. خلّوني أكبر.. خلّوني عيش بأمان
بدّي نطّ.. بدّي ألعب.. بدّي إحلم بالسلام»..
«ماما شو هيدي الأصوات؟
ليش فارشين بالكوريدورات
ليش الإزاز عم يتكسّر؟
والحيطان عم ترجّ»
بوم بوم بوم
«ماما ابعدوا.. ماما ارجعوا.. ماما فوتوا عن البلكون
تخبّوا تخبّوا من القذايف يلي عم تخرق الحيطان..
شو عملتي يا مجنونة؟ وين طلعتي؟
وكل إخواتك مخبايين».
«ماما، فستاني خفت عليه من الشظايا
يلي عم تنزل على البلاكين..
بدي ألبسو العيد الجايي..
وإفرح فيه مع الجيران».
«شايفة الرصاص متل الشتي والصواريخ متل النار..
أي عيد وأي دني خلينا لبكرا نعيش..
ونشكر ربنا عهالنعمة كل ما شفنا نهار جديد».
بوم بوم بوم
«تيتا تيتا خبّيني بحضنك خلّيني حسّ بالأمان
حكيلي قصة لا قنابل فيها ولا بواريد..
إذا بتعرفي حكاية أبطالها عاشوا بسلام
خلّيني إحلم.. خلّيني بحضنك.. ابني الوطن من جديد».
بوم بوم بوم
مين مات؟ مين تصوّب؟ القرعة يا ترى ع مين؟
مين دَورو اليوم؟ اسألوا جارنا أبو أمين..
فاتح دفتر عم يسجّل كل ما مات حلم جديد..
وهيدا سجل المفقودين، صاروا اوراقو مليانين..
مقتولين.. مفقودين.. مهجّرين.. ومهاجرين..
حرب مع مين؟ وكرمال مين؟ حدا يقلّي مين!
قالوا هيدي حرب أهلية..
بابا شو يعني حرب أهلية؟
أي أهل بيعملوا حرب؟ أي أهل بيقتلوا ولادُن؟
ليش الأهل بيعملوا حرب؟ ليش الأهل بدمّروا بلادُن؟
هيدي مش حرب أهلية.. هيدي حرب همجية..
خلّوا الأهل يوقفوا الحرب.. خلّوا الأهل يعمروا بلادُن..
نحنا متنا بهالحرب وما حدا عرفنا..
نحنا ضعنا بهالحرب ولا حدا لقانا..
نحنا عشنا سنين الحرب ولا حدا سألنا..
كيف ربينا بعد الحرب؟ ما حدا جاوبنا
قال نحنا جيل الحرب!
لأ هيدا مش صحيح
نحنا جيل السلام..
بس أيّا سلام؟
السلام لـ الله

* * *

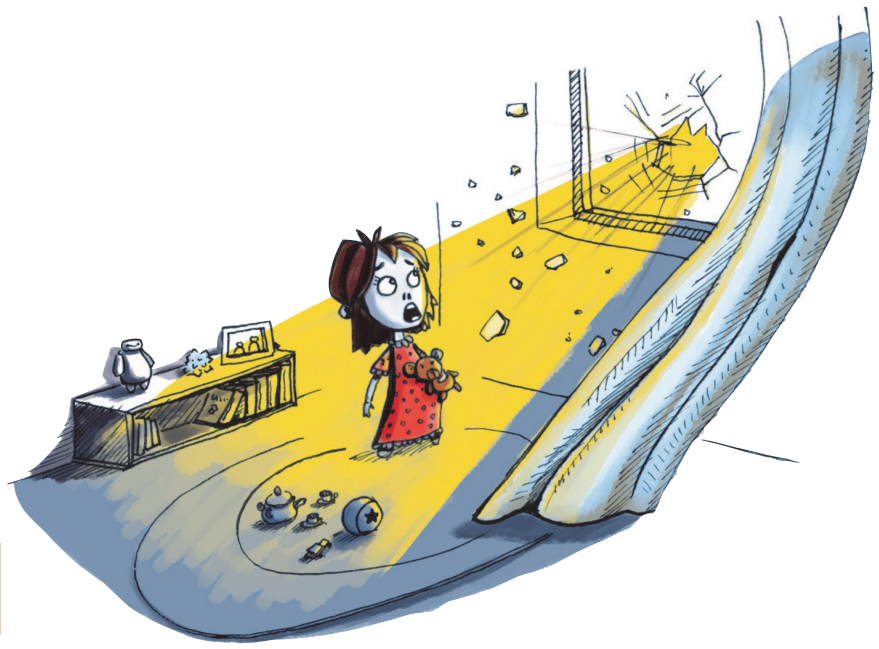
© كارل حلال

ذاكرتنا

راغد عاصي

إنها الذاكرة تخوننا من جديد. حتى دموع الفراق نسيناها.
هل من أسرة لم ينلها نصيبها من الفراق؟
هل من أحد لم يُفجع بقريب أو حبيب؟
هل من مدينة لم يدكّها الحقد الأعمى؟
هل من قرية لم تبكِ على أبنائها؟
هل من شارع لم يشهد قتالاً ساذجاً بين أخوة ضالّين؟
كيف ننسى؟
كيف نمحو سبعة عشر عاماً من جنونٍ وقتالٍ أحمق أدّى إلى الخراب والهجرة والموت، وإلى ما اعتقدنا أنه إقرار من الجميع بأن الوطن للجميع، ولا أحد ينتصر على أحد بل الكل ينهزم عندما يُرفع حدّ السيف بين أبناء الشعب الواحد؟
يا أيّتها الذاكرة، بالله عليكِ إرحمينا. بالله عليكِ ذكّرينا وأيقظينا، علّنا نعود إلى رشدنا قبل فوات الأوان.

* * *

الملجأ

عادل نصار

في باطن الليل داخل مستودع في أسفل إحدى بنايات خطوط التماس الشاطرة للعاصمة بيروت قسمين: واحداً شرقياً وآخر غربياً كانت عائلات كبيرة وكثيرة العدد تحتمي من القصف المتبادل بين أطراف النزاع والذي لا يهدأ ولا يستكين إلا ليلتقط المتحاربون أنفاسهم بعد أعمالهم الحربية المضنية، فينوب عنهم القناصون الذين يترصدون الأهالي الذين يستغلون فترات الهدوء النسبي لقضاء حاجاتهم من خارج ملاجئهم، فيعمدون إلى تصيدهم كلما كان الأمر متاحاً أو في متناول بنادقهم.
كان الوقت يجري بطيئاً بطيئاً، والملل يتسلل إلى أرواح اللاجئين بعدما نام الأطفال وخفَتَ ضوضاؤهم، حين تناهى إلى أسماع الساهرين منهم أنين خافت بدأ بالتصاعد تدريجياً ليأخذ شكل نحيب متقطع ما لبث أن تحول إلى بكاء، فدّب الذعر في المكان، وتحول النسوة وبعض الرجال يجوبون المكان بحثاً عن مصدر الصوت وسط جلبة ورائحة عفنة لا توصف جراء التزاحم وقلة الاغتسال والحرارة الزائدة في المكان.
وصلت إحدى الأمهات إلى مصدر الصوت ورمت بنفسها فوق مطلقةِ.. إنها ابنتها وقد أرادت إسكاتها ومعرفة سبب عويلها قبل معرفة الآخرين به، فمدت يدها تطبطب على جسد فتاتها وتهمس لها في أذنها أن اهدأي، وتسألها برفق عن المكروه الذي أصابها، فتقيأت الفتاة وتمتمت بعبارة واحدة كانت تكررها باستمرار: فضحت يا أماه.. فضحت يا أماه.. فدبّ الرعب في قلب الأم ووقفت مذهولة وواجمة، إلا أن هذا الوجوم دفع الفتاة إلى الإسراع في توضيح أسباب فضيحتها التي فسرتها بأنها ناجمة عن رائحة جسدها النتنة والتي زكمت أنفها ولم تعد تطيقها، وهذا ما اعاد الهدوء والسلام إلى قلب الأم والفتاة معاً.

* * *

ربيع شبابنا توالى مع خريف الوطن

توفيق منافيخي

بعد مضي سنوات على الحرب في سوريا، حيث الموت منشورٌ في كل مكان، والرعب في الشارع وفي المدرسة وبين أزقة الأبنية، لم تعد تُفرق الحرب بين أطراف النزاع، والشعب جسر على كل الأجندات السياسية. أصبحت معتاداً على أصوات التفجيرات، لن تخيفني بعد مرور ذاك الوقت على الدمار الهائل الذي عمّ أرجاء سوريا، كما اعتادت عيناي على مشاهد الدخان المتصاعد فلم تعودا تدمعان، وتأقلم جسدي الذي كان يهتز من صراخ أطفال الحي قبل سنوات الذعر، فأبى أن أرتجف خوفاً.

مقصف جامعتي في حلب، الوقت الذي دَرست فيه عائلتي والتي كانت تصف لي الجو العام بأنه مليء بالتسلية والمنافسة العلمية، والتبادل المعرفي، هذا المشهد لم أعد أتخيله، فقد أصبحت أعايش السنة الأولى في كلية الطب، أرى الأصدقاء ملتفين حول الطاولة، يشربون قهوة الصباح على ألحان فيروز تحت أشعة الشمس الدافئة.

انتهينا من إحدى المحاضرات المملة، عاودنا الجلوس كعادتنا، لنتسلى انتظاراً للمحاضرة التالية. كنا نتبادل الضحكات بملء أصواتنا، فأدمنت عقولنا الهمَّ؛ نفترض مستقبلاً لا يبعد عنا يومين أو ثلاثة لا أكثر على أمل تحقيق رغباتنا، بعد برهة من الوقت، يقدم بعض الشبان على زميل لهم بالقرب منا، وينشدون أغنيةً بمناسبة يوم ميلاده، أشعلوا الشموع في قالب (الكاتو) المتواضع، وراحوا يرقصون على أنغام الفرح، قاطعوا حديثنا الممل الذي لم تعد تقاطعه أصوات الرصاص والمدافع، لكن تلك اللحظة السعيدة لم تكتمل إذ إن قذيفة هاون هوت فأسكتت جميع من في الجامعة، محاضرين وطلاباً، أشجاراً وأحجاراً. لحظة صمت عارمة سادت في أرجاء المكان، ولولا أغنية فيروز لأحسسنا أننا صمتنا عمداً دفعة واحدة وكأننا على اتفاق مع العصافير!.

رحنا ننظر إلى وجوه كل منا، من دون أيّ كلمة، وكأننا نستمد القوة بتلك النظرات على الرغم من دقات قلوبنا التي تخفق خوفاً! لم يجف عرق جبيننا ولم يعد الدم ليجري في عروقنا حتى حدث ما لم نتوقع حدوثه، قذيفة أخرى على بعد أمتار قليلة من مكاننا!! فتكسر الزجاج بشظاياها، واجتاح الدخان المكان، وعلت أصوات النداء والصراخ بما لا يعلمون كلماته! نهضنا لإنقاذ أرواحنا، مسرعين مع حشد الطلاب الهاربين من المقصف، تركنا وأصدقائي الكتب والأقلام خلفنا كما أحلامنا وآمالنا، أسمع أصدقائي ينادونني ولا أستطيع رؤيتهم، وسط الزحام والدخان اندفعت خارجاً، وركضت مع الجميع لا أدري إلى أين اذهب. رأيت طالباً منهم فاتجهت نحوه، تداركت الصدمة المحيطة به، وسألته عن الآخرين فلم يستطع التحدث، وحتى الدموع في عينيه لم تتجرأ على أن تسيل، وقبل أن أشجعه على أن يتمالك نفسه فإذا بقذيفةٍ أخرى تمنيتها الأخيرة، هوت أمام عيني فسقطت بجانب صديقي على الأرض من دون أي حراك، ولم أعلم حينها إن كنت أصبت بجرح ما ولكنني كنت غير قادر على الحركة أو النطق...

نظرت حينها بصعوبة إلى السماء، والغيوم الملطخة بالدخان الأسود، شعرت بنسيم بارد يجتاح جسدي ولم تستطع أشعة الشمس إعادة الدفء الذي كنت أستمتع به قبل دقائق، نقلني السقوط إلى عالم آخر، وكأنني غادرت هذه الأرض.

لم أفهم ما حدث حقاً، واسترسلت لحظات بأفكاري شعرت بأنها ساعات، حتى أحسست بصديقي يجذبني من يدي وينادي الآخرين من أصدقائي، فنهضت مستغرباً، وتحركت وهو يقودني نحوهم حتى ارتميت في أحضانهم ثم غادرنا الجامعة على وقع خفقات القلوب الراجفة.

سأعيش ما تبقى من حياتي أجمع الكوابيس بدلاً من الذكريات، أسمع اصوات المدافع بدلاً من صوت فيروز منتظراً شمس سوريا في أيام كانون، وأسعى لأصدق أن ما لا يقتلك سيجعلك أقوى في هذه الحياة.

* * *

حب على أسوار قلعتك

حسن جبقجي

ركضت بأقصى ما أملك من سرعة ووقع أقدامي تبعد الغبار عن طريقي... أتعثر بفوارع القذائف... التي ملأت المكان...

وقفت مشدوهاً إلى ذلك المكان الذي كان يبعد عني مئة ألف وردة حمراء، تركها على أبواب شرفتك الحزينة في ليل أيلول..

أغمضت عيني لأستحضر ظلك الضائع بين طرقات الحرب التي طالت لسنين وسنين...

مسحت عن عينيك الكبيرتين زجاجة خمر معتقة في شتاء بارد...

- أنت هنا...

لم تجب

- بحثت عنك طويلاً...

لم تجب أيضاً...

أمسكت ظل يدها وجريت بها بعيداً عن سوق المدينة...

ربما أني لم أعشق مثلك تلك الأحجار بعد.

قي تلك اللحظة كنت على وشك أن أهرب مقدار قلب جريح عن عشقي، فلم يكن لدي الجرأة للنظر إلى عينيك مرة أخرى...

لا أعرف ماذا أقول لأمي إذا فشلت في استرجاع حبيبتي...

وأنا أسترق النظر إلى مدينتي...

هل سأقول لها كنت أسرق أحجار المدينة...

أو استرق السمع كالنساء...!؟

هل تذكرين عندما دخلت القلعة من بابها الكبير وقلت لك:

تعالي نلعب لعبة الاختباء؟

كنت تهربين من قبلاتي الباردة في صيف تموز... تتسلقين أحجارها الكبيرة التي تفصلك عن قلبي مسافة شوق...

خمنت أخيراً أنك تختبئين في (حبس الدم) سميتها وقت سجن العشاق...

حطمت الحديد، كنت على وشك تحطيم قلبك الصغير الدافئ...

رأيت كل المدن في عينيك الواسعتين...

- تلك قلعتي وحياتي في فصولها ...

نتدلى على أسوار القلعة كطفلين ضائعين، والناس يحدّقون بنا...

فشلت في استرجاعك...

لم أتجرأ على دخول التاريخ أكثر...

أمي قالت لي: إرفع رأسك... فالإجابة عن الماضي تعني التنقيب في باطن الأرض..

تذكرت يوم امتحان التاريخ كنت أحاول (النقل) من صديقي محمد، يومها قلت له: فقط هذا السؤال...

تجاهلني...

قلت له: سنعلب معاً كرة القدم وبعدها سنذهب إلى محل سلورة* ونأكل مثلجات شهية..

بينما لبى محمد نداء صديقه بلغة كردية فهمت أنه يساعده (في النقل).

- تباً حتى أنت يا محمد لاتساعدني.

سأعتمد على بوغوص ... هو لماح...

نظرت نحوه كان مستغرقاً حتى أخمص قدميه...

لذلك رسبت بجدارة في مادة التاريخ وفي كل الفصول الدراسية ...

منذ مدة لم ألتق بهم، كل منهم عبر إلى قارة مختلفة...

هربوا من الظلال السوداء ليلتحقوا بضوء صغير ينمو كل يوم في عقولهم...

- ما أقسى الحياة وما أشهى أن نقاوم الموت والحياة دفعة واحدة.

والدي استشهد أمام الفرن وقد تلوّن الخبز بدمائه...

لذلك قرر أخي ألّا يبقى يوماً آخر في ذاك البيت...

أما أمي فأصبح البيت هم أطفالها...

- هنا ولدت وهنا أموت... لن أترك أولادي.

أشارت إلى غرف الدار...

عند القلعة... قريباً من (حبس الدم)

لاشيء هنا إلاّ رماد على الأرض...

لاشيء أفعله سوى النظر إلى السماء، أنتظر أن تشرق الشمس على حجارتها البيضاء.

المكان: قلعة حلب في مدينة حلب.

حبس الدم: سجن قديم موجود داخل قلعة حلب.

* * *

© كارل حلاق

مشواري الدراسي في حمص انتهى

ريم حسوا

تسارع مخيف للأحداث، آراء مختلفة هنا وهناك، تجمعات صغيرة وأخرى كبيرة، مناقشات حادة يغلب عليها الصوت العالي قد تصل إلى الشجار والبغض، وحتى نبذ الطرف الآخر وعدم التواصل معه نهائياً، رفض الحوار والنقاش، أو حتى الخوف من الإفصاح عن الآراء والأفكار التي تجول في الرأس.

كلها مظاهر جديدة طرأت على حياتنا فجأة، فهي لم تكن سائدة أو لم تكن بهذه الحدة على الأقل.

لقد غدت ممارسة الحياة بشكل طبيعي أمراً صعباً: إطلاق رصاص عشوائي يملأ السماء وبأوقات مختلفة ليلاً نهاراً، توتر يسود الأجواء بشكل عام.

ما زلت أذكر جيداً ذلك اليوم بينما أنا وصديقتي جالستان على مقعد في حديقة الكلية رغم الجو المضطرب والسماء الداكنة التي تنذر بهطول المطر، وإذ بي أسمع أصوات طلقات مستمرة من ناحية حارتي التي لا تبعد عن فناء الجامعة سوى بضع دقائق في السيارة، قلقت وتوترت وتبادر إلى ذهني الكثير من الأسئلة، ترى ماذا يحدث؟ ما سبب إطلاق النار هذا؟ أهلي إخوتي؟ هل هم بخير أم ماذا؟

كنا قد أنهينا دوامنا ومحاضراتنا لذلك اليوم، وما إن هدأت الأجواء بعد دقائق قررنا أنا وإياها العودة كل منا إلى منزلها، لم تتركني حتى استقليت تاكسي نحو حارتي.

ونحن في طريقنا، عاد الوضع إلى التأزم وأصوات الرصاص تتعالى أكثر وأكثر، فقرر الشوفير تغيير مساره بسرعة وأخذي من طريق خلفي خوفاً من أن نتعرض للطلقات إن بقينا على الشارع الرئيسي.

في هذه الدقائق القليلة أحسست بكل ثانية تمر عليّ وأنا في التاكسي لوحدي أشعر الخوف والتوتر، ومما زاد خوفي ربما حالة الشوفير الكبير في السن الذي كان قلقاً مضطرباً وهو يقود سيارته بسرعة ويميل ويناور من جهة إلى أخرى.

وأخيراً وصلنا فأخبرته أني أريد النزول في أول الشارع فأنزلني قائلاً: تكرمي بس بسرعة «يلا» وتوجهت مسرعة إلى البيت، فلقد كان أغلب الرجال واقفين على أبواب منازلهم يترقبون ماذا سيحدث. ويتبادلون أطراف الحديث، دخلت المنزل، اطمأننت على أهلي فرداً فرداً، وهاتفت صديقتي أبلغها بوصولي، فلقد كان همها آنذاك أن أصل بخير رغم أنها معرضة أيضاً للخطر فهي في حارة مجاورة وملاصقة لحارتي ولكنها كانت ومازالت من النوع الذي يخاف على أصدقائه وتعتبر نفسها مسؤولة عنهم، كنت أعتبرها بمثابة أم لشلتنا المؤلفة من ٤ فتيات تربطنا علاقة وثيقة استمرت لسنوات ومازالت مستمرة حتى هذه الأيام والحمدلله.

تكرر هذا المشهد كثيراً في الآونة الأخيرة حتى أصبح الذهاب إلى الجامعة أمراً صعباً ومحفوفاً بالخطر، وقد يعرضني للموت كبعض من الطلاب الذين لقوا حتفهم على باب الجامعة أو في داخلها، لذلك قررت وأهلي أن أتوقف عن الدوام ريثما يتغير الحال راجين الله أن يتغير إلى الأحسن.

لم أكن أدري في ذلك الوقت أن مشواري الدراسي والمعيشي في حمص قد انتهى...

عواصم الوطن

طارق شمس

عندما بدأت الطائرات الإسرائيلية بقصف مدينة النبطية في جنوب لبنان، وأخذت القذائف تتساقط على أحيائها عام 1978، أدرك الجميع أن اجتياحاً للعدو قد بدأ، خصوصاً مع اعلان انطلاق عملية الليطاني، عندها قررت العديد من العائلات الجنوبية الانتقال إلى المناطق الآمنة ومنها العاصمة بيروت...

كانت بيروت عام 1978 مقسّمة إلى منطقتين: شرقية وغربية، أذكر حينها أننا نزلنا بشقة تخص عمتي في منطقة رأس النبع في الجزء الغربي من العاصمة، ومن هذه الشقة كان يظهر مبنيان كبيران هما برج رزق وبرج أبي حمد الواقعان في بيروت الشرقية في الحي المجاور لنا والذي يعرف بحي الأشرفية.

بمجرد وصولنا تم تسجيلي في المدرسة الرسمية الابتدائية التي تقع في نفس الحي، ولم يطل الأمر حتى بدأت الاشتباكات العنيفة بين القوات السورية وحلفائها من الفلسطينيين وما يسمى بالقوى الوطنية من جهة، وحزب الكتائب اللبنانية ونمور الأحرار ومن معهم من جهة أخرى... فأحسسنا بأننا انتقلنا من جبهة إلى أخرى... ومن صراع إلى آخر... توزعت فيه جثث ضحايا القناصين على جانبي خطوط التماس في العاصمة التي شهدت في العام 1978 حرباً طاحنة بين البيروتين استمرت حوالي الخمسين يوماً... وطاول القنص شقتنا المستعارة من عمتي... حينها كنت أرتعب من رؤية برجي رزق وأبي حمد اللذين تنطلق منهما رصاصات القنص باتجاهنا... وكثيراً ما كنت أستيقظ ليلاً مذعوراً عندما يتراءى لي هذان البرجان في المنام... وفي ذاك العام استشهد زميلنا في الصف أحمد (9 سنوات)، وقيل لنا إن قذيفة هاون أصابته، وأخبرنا أحد الزملاء في الصف بأنه شاهد جثته وهي مقطعة...

طيلة الأعوام 1979 و1980 و1981 كنت أقصد مدرستي من خلال شوارع تحميها السواتر الترابية لتبعد عنا عين القناص الذي يريد اصطيادنا... كنت حينها أظن أن سكان بيروت الشرقية ليسوا بشراً مثلنا، قال لي زميل في الصف بأن لكل منهم ثلاث أقدام... عندها استعرت منظاراً كي أشاهد هؤلاء الذين يقتلوننا، ورحت أراقبهم من خلال الشقة المقابلة لنا في المبنى المجاور والتي كانت قد أصيبت بقذيفة وتشكلت فتحة واسعة في جدارها يظهر من خلالها الجزء الشرقي من بيروت...وأخذت أراقب تلك المنطقة... كم فرحت عندما شاهدت سيارات تمر... تشبه السيارات التي عندنا! ثم شاهدت امرأة تنشر غسيلها فأخذت أحدق بها مرتعباً... إنها تشبهنا لكن يصعب رؤية أقدامها الثلاث من هنا!

وفي اليوم التالي كان حديثي في المدرسة كيف شاهدت أهل بيروت الشرقية... وسألني زملائي بلهفة: كيف هي أشكالهم؟ فقلت لهم إنهم يشبهوننا كثيراً... فصمتوا...

بعد عدة سنوات، وتحديداً في العام 1983، فتحت «الحدود» بين البيروتين فحثثت الخطى نحو تلك الحدود كي أشاهد «الأشرفية» والمنطقة التي يسكنها القناص والناس المختلفون عنا... كنت مرتعباً وأراقب كل شيء... وكنت خائفاً حتى من ظلي، فقد يقتلونني أو يقطعونني، وحين وصلت إلى برج رزق أخذت أحدق به طويلاً، هذا هو البرج الذي كان يقتلنا ويرعبنا ها انا أقف بجانبه... وتقدمت نحو برج أبي حمد... أراقبه بدقة ثم تراجعت مسرعاً وقلبي يدق نحو بلادي: بيروت الغربية... دخلت الى متجرا للسكاكر قبل عبوري الحدود نحو وطني المدمر... دخلت متجراً في الأشرفية واشتريت بسكوتة ورحت أكلم البائع بخوف كي لا يكتشف حقيقتي... وعدت مسرعاً إلى منطقتي وأنا أتذوق بسكوتة من بلاد بيروت الشرقية!

* * *

الحرب الأهلية كما رآها صبي في السادسة من عمره

وسيم قاطرجي

في يوم دراسة عادي، في العام 1989، كنت في السادسة من عمري أجلس في الصف في مدرسة مار يوسف في جبيل. فجأة، انقطع روتيني اليومي حين سمعت والدي مسرعاً في الرواق. وقف عند باب صفي، ممسكاً بأختي الكبرى بيدٍ وملوّحاً لي باليد الأخرى لكي أحمل أغراضي وألحق به بسرعة. كان مدير المرحلة الابتدائية يتبعه في حالة من الارتباك. لم أرَ الخوف في عينيه، فقد كنت سعيداً جداً للانصراف من الصف.

في طريقنا إلى المنزل، لم ينبَس أبي ببنت شفة، وعلى الرغم من أنه كان سائقاً رزيناً، فقد تخطى السرعة القصوى ذلك اليوم. ومع أنني بالكاد أتذكر أن الطرقات كانت خالية فعلياً، إلا أنني أتذكر بوضوح كيف عبرنا جسر الفيدار بسيارتنا «الفولز فاغن» القديمة بسرعة هائلة لدرجة أنني شعرت بأننا سوف نطير عن الجسر. وصلنا إلى المنزل في غمضة عين لنجد والدتي بانتظارنا بقلق عند المدخل.

ما أن توقفت السيارة حتى سمعنا أصواتاً عميقة لطلقات نارية؛ وراح أزيزها المرعب يعلو أكثر وأكثر لدرجة أنه لم تتسنّ لنا الفرصة لقول كلمة واحدة. إنزلقنا نزولاً على سلم خشبي أدّى بنا إلى الطابق تحت الأرض، وهناك اختبأنا نحن الأربعة في زاوية بمساحة مترين بمتر واحد بجوار الحمام. لا أتذكر أنه أتيحت لوالديّ الفرصة لإقفال المدخل الأساسي قبل نزولنا. مرت ساعات على جلوسنا هناك، فيما دويّ الرصاص والقذائف يخترق الهواء. لم نأكل ولم نشرب، لم نتجرأ حتى على دخول الحمام الذي كنا نجلس بجواره. إنتظرنا توقّف الرعب في نهاية ذلك اليوم... وكانت بقية تلك السنة أسوأ من ذلك، فأمضينا معظم وقتنا مختبئين في القبو. ومع ذلك، ففي ذلك اليوم بالتحديد، وعلى الرغم من أنني كنت لا أزال صبياً صغيراً، أدركت أننا نعيش في حالة حرب.

بعد سنوات عدة، سألت والديّ عن ذلك اليوم، محاوِلاً أن أفهم ما قد حصل حينها ولماذا. علمت أن والديّ كانا يجلسان في حديقتنا الأمامية التي تواجه الطريق الساحلي في بلدة حالات. وبما أن الطريق السريع كان مقطوعاً لأنه كان يستخدم كمطار عسكري، فإن الطريق الساحلي كان الصلة الرئيسية بين بيروت وطرابلس، وبالتالي فإنه كان مزدحماً عادةً. في ذلك اليوم، توقفت حركة المرور فجأة وبشكل كامل، ما أثار فضول والديّ، فأوقفا عاملاً كان يمر بسرعة وسألاه إن كان قد لاحظ وجود شيء في طريقه. أخبرهما أن الجيش اللبناني قطع الطريق في بلدة العقيبة المجاورة وكان يقوم بتعبئة عساكره ودبابته للتقدم نحو مدينة جبيل لمواجهة القوات اللبنانية. ذُعِر والداي عند سماع ذلك لأنني وأختي كنا في المدرسة في جبيل...

(نص مترجم من الإنكليزية)

* * *

عقلي يخبرني عن الحرب

سميرة فاخوري

أمام صفحتي البيضاء، أتساءل ما إذا كانت الحرب التي دمّرت لبنان منذ العام 1975 قد انتهت فعلًا! وما إذا كنا نشعر بهدوء السلام في قلوبنا!

وينتفض عقلي فجأةً:

- هل تحاولين أن تسخري من نفسك؟ أو أن تقنعيني، أنا؟ عقلك؟!

- كلا، كلا! ... أنا أحاول أن أستعيد الأوضاع والأخطار التي عشناها، لكي أؤرّخها. أنت تعرف جيداً أن الأيام والأحداث كانت تتتالى، وكانت تبدو متشابهة، إنما يجب أن أبدأ من البداية. تلك الصدمة الحقيقية الأولى، في بلد كانت تجهل الغالبية فيه ما يحاك في الظلام. في قرية هادئة محمية منذ الأزل من قِبل ثكنة للجيش اللبناني... كان ذلك في العام 1976.

...ويأتي خبر يهزّنا: ترك الجيش المكان وانقسم. وتبِع الرعد وقعَ الصاعقة حالًا. «إبقوا مكانكم: سيمرّ موكب مدجّج بالسلاح في القرية لكي ينضم إلى غيره». مسلّح أجل. إنما ليس الجيش.

سيمرّ وحسب. إنما كلا. فقد تركوا وراءهم بعض الشبان والصغار، وقد أُطلِقَ عليهم النار، البعض منهم في الطرقات، والآخرون على عتبة منزلهم؛ أكثر من عشر جثث في هذا اليوم الأول من دورة مؤذية تغيّر الوجوه إنما تحتفظ بالقلب ذاته: التقسيم والمجزرة والرعب. وقد طال هذا الأمر...

طال.

لم أعد أذكر كم من الوقت... أياماً؟ أشهراً؟ سنين؟

هذا ما أحاول استعادته، عن طريق وضع التواريخ.

بدا الهرب وكأنه الخيار الوحيد. اليوم نطلق عليه اسم الهجرة.

إنما لم يكن هذا هو الحل الذي اختزناه: كيف نترك منازلنا الثلاثة على التلة؟

منزل أهلي حيث كانت أمي لا تزال تعيش، منزل أختي التي كانت قد نُفِيَت، مثلها مثل العديد غيرها، مع زوجها للعمل، منذ ما قبل «الحرب»، و...منزلنا نحن.

...وهكذا تمّ اتخاذ القرار: تأمين الأولاد في منزل في بيروت (يجب اختيار أهون الشَرَّيْن، أليس كذلك؟)، وتحويل مرآبنا إلى ملجأ، الأمر الذي أصبح سهلاً بعد سرقة سيارتنا. متى إذا؟ 1978؟ كلا. بداية الثمانينات، لنرى... إنما في العام 76 أيضاً. مع السيارة. حتماً! ليس بالأمر المهم، من دون شك. لقد أضحى كل هذا بعيداً.

في هذا المرآب إذاً، وهو فعلياً طابق أرضي إنما محمي من ثلاث جهات من الجبل، نجونا أنا وزوجي من القصف الجوي لجيش معادٍ يستهدف جيشاً معادياً آخر كان يخيّم أمامنا.

وقد نجونا من قنابل باخرة الحرب المهيبة الغربية إلى حدّ كبير والتي كانت تستهدف الأهداف ذاتها. 1983؟ 1984؟ يا للعجب.

وقد نجونا من الرعب. وقد حمينا منازلنا.

- ربما، يقول عقلي. إنما مقابل أي ثمن؟

واليوم أتساءل، هل قمنا أيضاً بحماية لبنان؟

لن أصغي إلى عقلي، فقلبي يخبرني أننا فعلنا.

(نص مترجم من الفرنسية)

© كارل حلال

إنتظار

المفقودون

داليا خميسي*

يُقال إنّ المفقودين ليسوا أمواتاً ولا أحياء. لا بد من أنهم يطوفون بين العالمين، بانتظار أن يُكشف عن مصيرهم.
كنت في السابعة من عمري في العام 1981 عندما اعتقل والدي في بيروت. وبعد ثلاثة أيام، أطلق سراحه. بعد سنوات عدة، فهمت أنه كان أكثر حظاً من كثيرين آخرين.
ثمة حوالي 17 ألف مفقود ومخطوف لا تزال أسرهم تنتظر عودتهم. لقد اختفوا جميعاً خلال الحرب الأهلية في لبنان بين عام 1975 و1990. كانوا من مختلف الاديان والاجناس والاعمار والمعتقدات السياسية وتعرضوا للاختطاف على يد ميليشيات لبنانية مختلفة شاركت في الحرب، وكذلك على يد سوريا وإسرائيل.
منذ العام 2010 بدأت اروي قصص اهالي المفقودين وصور نضالهم المستمر.

محمد عباس

تجلس زهرة عباس على سريرها في شقتها في صور في جنوب لبنان. فُقِد محمد زوج زهرة في العام 1978 حين كان في طريقه إلى لبنان من المملكة العربية السعودية بعد انتهاء عقد عمله هناك. عَبَرَ محمد، الذي كان يقود سيارته ويرافقه اثنان من زملائه، الحدود السعودية والحدود الأردنية السورية ومن ثم الحدود السورية اللبنانية، إلا أنه لم يعد إلى عائلته في صور. كان في الـ32 من عمره.
في كانون الاول من سنة 2015، توفيت زهرة من دون أن تعرف مصير زوجها وكانت قد امضت حياتها تربي بناتهما الأربعة وحدها. لم تتوقّف عن البحث عن زوجها. كانت في الـ25 من عمرها في العام 1978.

قزحيا شهوان

تجلس نهيل في حديقة المنزل الذي ولد فيه زوجها قزحيا شهوان وترعرع في البترون، شمال لبنان، وإلى حيث انتقلت بعد الزواج وأنجبت أطفالهما الأربعة.
في العام 1980، قدم مسلحون الى مقر عمل قزحيا واقتادوه الى التحقيق. كان في الـ28 من العمر، ولم يعد إلى المنزل مذاك.
كانت نهيل في الـ25 من عمرها آنذاك واضطرت إلى العمل لإعالة أطفالهما وإرسالهما إلى المدرسة ومساعدة حمويْها اللذيْن عاشت معهما لمدة 25 عاماً بعد اختطاف زوجها. بحثت نهيل عن زوجها في كل مكان، وتنقلت بين مراكز الاعتقال، إلى حين رأته بعد أشهر عدة ولبضع دقائق في سجن سوري. ومنذ ذلك اليوم، بقي مصيره مجهولاً.

جورج غاوي

على أحد السريريْن في الشقة التي تعيش فيها ماري غاوي بمفردها، والتي تضمّ غرفة نوم واحدة، وضعت صورة ممزقة إلى نصفين تمّ التقاطها في منتصف الستينيات وتظهر فيها مع ابنها جورج الذي يحمل شمعة كبيرة يوم أحد الشعانين.
كان جورج في الـ22 من عمره عندما اختطف في بيروت الغربية حيث كان في طريقه الى اجتماع عمل، يوم 30 كانون الأول 1983. كان ينوي أن يهرب مع خطيبته ليتزوجا على طريقة «الخطيفة» في اليوم التالي.
بعد سنوات من اختطاف جورج، مزقت ماري معظم صوره لتزيل الأقارب والأصحاب منها. ولم تبق أي صور على حالها سوى تلك التي التقطها خلال رحلته إلى هونغ كونغ قبل بضعة أشهر من اختطافه.
بحثت ماري عن ابنها في كل مكان، ولكن بدون جدوى.

رشيد اللدّاوي

تشاهد أم رشيد التلفاز في منزلها في طرابلس، شمال لبنان وتبدو معلقة على الحائط فوقها صور رشيد الذي خرج بتاريخ 10 نيسان 1976 لشراء السجائر ولم يعد. كان في الـ15 من عمره آنذاك.
بحثت والدته عنه في أنحاء البلاد كلها، ولكنها لم تحصل يوماً على أي معلومات عن مكان وجوده... قلبها يخبرها بأنه ما زال حياً.
كان كثيرون من المفقودين وضحايا الاختفاء القسري دون سنّ الـ18 عند اختطافهم.

وجيه زهلان

حذاء في مبنى مهجور كان يستخدم كمركز اعتقال في بحمدون، شرق بيروت، خلال الحرب الأهلية اللبنانية بين العام 1975 و1990.
في العام 1982، وُجدت رزمة من جوازات السفر التي تعود إلى أشخاص اختطفوا واعتقلوا داخل المبنى. ومن بينها وجد جواز سفر يعود إلى وجيه زهلان، بعد شهر من اختطافه.
غادر وجيه منزله في عاليه باكراً ذات صباح شتائي، وتوجه إلى البقاع مع زميله للعمل. ذلك الصباح لم يوقظ وجيه اولاده الاربعة ولم يودّعهم قطّ. وبعد يومين، عرف صديق للعائلة أنه تمّ إيقافهما في الطريق واقتيادهما بالقوة. كان وجيه في الـ38 من العمرً.

عندما وُجد جواز سفر وجيه كانت صورته مفقودة، ولكنّ المعلومات التي تشير إلى هويته كانت لا تزال عليه.
في العام 2014، دخل أيمن ابن وجيه المبنى للمرة الأولى منذ اختطاف والده. تجول ايمن بين الغرف يبحث عن عبارات مكتوبة على الجدران، أملاً بأن يجد رسالةً من والده. ولكنه لم يجد شيئاً.

كاريمان محمد

معطف من الفرو لكاريمان محمد أحمد، معلق في خزانة بغرفة نوم ابنتها رشا جمعة في صيدا بجنوب لبنان.
تركت كاريمان زوجها وطفليْها في المنزل في صيدا ذات يوم من العام 1986، وتوجهت نحو منزل والديْها في بيروت.
لم يكن زوج كاريمان ووالداها على تواصل، فمضى شهران قبل ان يدركوا أنّها لم تصل إلى بيروت في ذلك اليوم، وأنها كانت في الواقع مفقودة.
كانت رشا تبلغ من العمر خمسة أعوام في ذلك الوقت. بدأت رشا التحقيق في أمر اختفاء والدتها في خلال السنوات الماضية.

* مصورة

إعلام

مقدّمات نشرات الأخبار وارتباطها بالحرب الأهلية

د. جورج صدقة*

لا تزال مقدمات نشرات الأخبار التلفزيونية والإذاعية في المحطات اللبنانية تستحوذ على حيّز واسع من الاهتمام، وتشكل موضوعاً جدلياً بالنظر إلى الإشكاليات التي تطرحها وإلى الانعكاسات والمخاطر التي تترتب عليها.

تجمع الدراسات الأكاديمية وآراء المتخصصين على أن هذه المقدمات تتعارض مع مبادئ مهنة الصحافة، وأخطر من ذلك أنها تصل في بعض الأحيان إلى تهديد السلم الأهلي، ذلك أن جذور هذه الممارسة إنما تكمن في التقاليد الصحفية ذات الجذور العسكرية التي سادت خلال سنوات الحرب.

إشكاليات مقدمة النشرات

ويمكن اختصار الإشكاليات التي تطرحها مقدمات النشرات على صعد أربعة: مهنية، سياسية، قانونية وأخلاقية.

- **على الصعيد المهني:** تبدو المقدمات في أحيان كثيرة خارج المعايير المهنية من حيث اختيارها الأولويات الإخبارية ومن حيث تبنّيها لخطاب موجّه أو أيديولوجي بعيداً من أولوية الحدث ومن القواعد المهنية واستجابة لأجندات سياسية من أصحاب المحطات أو من يقف وراءها.
- **على الصعيد السياسي:** من حيث استعمالها كمنبر لإيصال الرسائل السياسية أو في حملات ترويجية ودعائية ضد الخصم، أو تصفية الحسابات بين الأفرقاء، ما يجعل خطابها في بعض المرات حاداً أو عنيفاً، مع ما يستتبع ذلك من توتر بين الأطراف الداخلية ومن شحن سياسي أو طائفي.
- **على الصعيد القانوني:** تتعارض المقدمات الإخبارية في كثير من الأحيان مع قانون المرئي والمسموع التي استحصلت المحطات رخصة البث على أساسه، إذ «لا يحق للمؤسسة الإعلامية في مقدمات الأخبار أن تلحق اسم جهة سياسية بنعت ينطوي على مواقف، ولا أن تعمّم تسمية تخالف التسمية المعتمدة من قبل الجهة المستهدفة، ولا يحق لها أن تعرض واقعة أو حادثاً فتلصق في العبارة نفسها إيحاء اتهامياً بحق جهة سياسية معينة، ولا يحق لها وفق القانون أن تدخل على خط التعامل مع قضايا أو ملفات قيد النظر لدى القضاء»[1]. والكثير من هذه الأمور ترد في مطلع النشرات الإخبارية.
- **على صعيد الأخلاق الإعلامية:** إن الخروج عن المبادئ المهنية، واستخدام الخطاب العنفي والاتهامي، يتعارضان مع مبادئ أخلاق المهنة من حيث الالتزام برسالة الإعلام في بناء رأي عام واع من خلال تزويده بالحقائق والوقائع التي تسمح له بالتعرف إلى محيطه وإلى موجبات المصلحة العامة، فضلاً عن أن الخطاب العنيف والاتهامي الذي تستخدمه هذه المقدمات في بعض الأحيان يتعارض مع متطلبات السلم الأهلي ولا يخدم الشأن العام.

وبيّنت دراسة تحليلية لمقدمات المحطات التلفزيونية والإذاعية أن 33 % من خطاب هذه المقدمات هي ترويجية وانتقادية، ما يدلّ على المنحى الذي تأخذه وابتعادها عن المنحى الإخباري[2].

كما أظهرت دراسة أخرى[3] أن هذه المقدمات تستخدم وسائل الحرب النفسية كمثل: الخداع عن طريق الإيهام، إثارة القلق، دحض افتراءات الخصم، التهديد، بث الذعر وإطلاق الشائعات، التحقير، الإغراء والتضليل.

موقف المحطات

على رغم تكرر الانتقادات والشكاوى لهذه المقدمات فإن المحطات تتمسك بها وتدافع عنها مع علمها بأنها تخرق مبادئ الممارسة المهنية السليمة. فهي تشكل بالنسبة إليها باب جذب للجمهور لما تتضمنه من إثارة، وهي بالتالي تجذب المعلنين الباحثين عن نسب مشاهدة عالية. وبالنظر إلى الأزمة المالية التي يعانيها الإعلام اللبناني عموماً فإن التسابق على كسب الجمهور بات من الأولويات. وتركّز موقع مقدمات أخبار المحطات التلفزيونية لدرجة أنها باتت مادة إعلامية مستقلة (بمعنى الحدث) تنقلها الإذاعات والمواقع الإخبارية الرقمية، وفي بعض المرات يبني عليها الصحافيون تحليلاتهم ومواقف الأفرقاء الصادرة عنهم.

ويشرح الإعلامي وليد عبود «أن المقدمة باتت ضرورية وتعتبر أداة جذب للجمهور، والدليل على ذلك تجربة أخبار «إم تي في» عند انطلاقتها، إذ حاولت أن تكون نشرتها على الطريقة الغربية من دون مقدمة، لكنها لم تلق تجاوباً من الجمهور (...) على رغم أن الجمهور يقول إنه لا يريد مقدمات في نشرات الأخبار لأنها غير محايدة، لكنه في العمق يطلب هذه المقدمة والتجارب أثبتت ذلك»[4]. ويؤكد مدير الأخبار في قناة «المنار» محمد عفيف «أهمية المقدمة بالنسبة إلى المحطة: «أننا نطلق من خلالها موقف الجهة السياسية التي نمثلها (...) بما يتوافق مع طبيعة الجمهور الذي نتوجه إليه»[5].

كذلك كرمى خياط رئيسة مجلس إدارة قناة «الجديد»: «نحن نفتخر أن قناة الجديد قد كرّست نموذج المقدمات الإخبارية، وقد أثبتت الإحصاءات أن المشاهدين يبدأون بطليعة نشرات الأخبار ومن ثم ينتقلون إلى محطات أخرى»[6].

الجذور العسكرية للإفتتاحية

إن تعارض مقدمات الأخبار مع المبادئ الإعلامية عموماً يعود إلى الدور الذي أناطه بها أصحاب المحطات التلفزيونية والإذاعية، إذ أن المحاصصة السياسية والطائفية التي جرت في منح رخص البث جعلت ملكية هذه المحطات في أيدي أحزاب أو أشخاص تبعاً لانتمائهم الطائفي والسياسي، وباتت المحطات امتداداً لتوجهات أصحابها، وبالتالي باتت إحدى أدوات النشاط السياسي أو الحزبي أو الطائفي، مع ما يستتبع ذلك من تحويل وتحوير في المضامين والبرامج لتصب في الاتجاه المقصود.

ومن أجل فهم المنطلقات الأساسية للمقدمات الإخبارية في لبنان لا بد من العودة إلى جذور بداياتها أي انطلاق المؤسسات الإعلامية الخاصة في لبنان، وهي أولاً المحطات الإذاعية ومن ثم المحطات التلفزيونية.

فقد انطلقت المقدمات الإخبارية في نشرات المحطات الإذاعية التي نشأت في لبنان مع بدء الحرب الأهلية عام 1975. وقد نشأت هذه الإذاعات في كنف القوى العسكرية على الأرض، إذ كان لكل ميليشيا إذاعتها. فكانت القوة العسكرية تخوض الحرب ميدانياً فيما ترافقها الإذاعة إعلامياً ودعائياً. ويمكن تعداد الكثير من هذه الإذاعات التابعة للميليشيات، كمثل: صوت لبنان، صوت لبنان العربي، إذاعة لبنان الحر، صوت الأمل، صوت الجبل، صوت الوطن، صوت الشعب، صوت لبنان الحر الموحد، إذاعة المقاومة الإسلامية، صوت الحقيقة...

الإذاعة أداة عسكرية بامتياز

إن ظهور الإذاعات في لبنان مع الحرب الأهلية عام 1975 ليس حالة استثنائية. فالإذاعة في الكثير من دول العالم رافقت انطلاق الثورات وحركات التحرّر، أو أيضاً الحروب التي كانت تخوضها الدول. والإذاعة هي الرديف للمدفع لأنها تخوض الحرب النفسية والحرب الإيديولوجية. وهي ترجمة للوجود العسكري والسياسي على الأرض ورمز وجود هذه القوة.

والإذاعة تميزت منذ انطلاقتها في الربع الأول من القرن العشرين بقدرتها على تخطي الحواجز والمسافات والدخول إلى كل منزل واختراق خطوط الخصم. كان ذلك سبعين عاماً قبل ظهور البث الفضائي عبر الأقمار الصناعية. وهو ما لم تكن تستطيع أن تحققه أي وسيلة إعلامية غيرها.

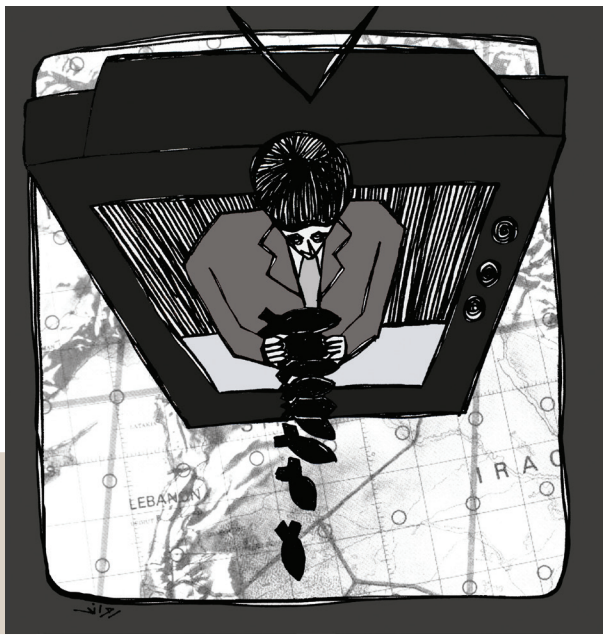

© عمل للرسامة روائد عيسى

لذا لعبت الإذاعة دوراً رئيسياً أساسياً في مختلف والحروب والثورات في العالم منذ الحرب العالمية الثانية حتى اليوم. وقد كانت الحرب اللبنانية منذ 1975 أحد ميادين الحروب الإذاعية بامتياز. وقد تميزت بكونها سلاح الحرب النفسية والدعاية السياسية، ودورها أن تخوض الحرب الإعلامية للوصول إلى النصر. لذلك كانت الإذاعات تتعرض للقصف شأنها شأن المواقع العسكرية الأخرى. كما لوحظ أن الخسارة العسكرية لميليشيا ما كان يستتبعها إقفال الإذاعة.

وكانت الإذاعة في حينها الوسيلة الإعلامية الأولى بالنظر إلى المعوّقات التي تعرضت لها الصحافة المكتوبة غير القادرة غالباً على اجتياز المعابر بين المناطق. فيما تتمتع الإذاعة بخصوصية لا ينافسها فيها أحد: السرعة، الآنية، سهولة البث والتلقي، تخطي الحواجز والمسافات. لذلك رافقت اللبنانيين طوال الوقت من السيارة إلى الملجأ، وكانت ترشدهم إلى الطريق «الآمن والسالك» وتدلهم على مكان تساقط القذائف.

في هذه الأجواء نشأت مقدمات الأخبار الإذاعية: دور عسكري للإذاعة بامتياز، يواكب البندقية لتحقيق النصر، أناشيد حماسية، أخبار موجهة لشد الهمم وحماسة المقاتلين. فتأتي مقدمات الأخبار لتترجم هذا الهدف. هذه المقدمات ترسخت في نشرات الاذاعات، وانتقلت لاحقاً إلى المحطات التلفزيونية التي اتّبعت التقليد ذاته، لا سيما وأن محطات التلفزيون الأولى أطلقها صحافيون إذاعيون نقلوا خبرتهم إليها.

عام 1976، اعتبرت الحكومة الأولى في عهد الرئيس الياس سركيس برئاسة سليم الحص أن المحطات الإذاعية مضرّة وغير شرعية. واتهمها الرئيس الحص بأنها تمارس «القصف الإذاعي». وقد تبنّت القمة العربية التي انعقدت في بيت الدين عام 1978 إقفال جميع الإذاعات الخاصة. كما صدرت في العام نفسه مذكرة حكومية منعت الرسميين من الإدلاء بتصريحات إلى الإذاعات الخاصة بهدف التضييق عليها وإسكاتها. غير أن الاذاعات استمرت وحصلت على تراخيص وتبعتها المحطات التلفزيونية.

خلاصة

إن معالجة وضع مقدمات الأخبار لا يمكن أن تتم بمعزل عن بنية الإعلام اللبناني القانونية والمالية والأخلاقية والنقابية، ولا بمعزل عن الوضع السياسي العام. لكن لا بد للقيمين على وسائل الاعلام وللإعلاميين من أن يدركوا أن المصلحة العامة تعلو على أي مصلحة أخرى وأن هناك خطوطاً حمراً لا يجوز تجاوزها حفاظاً على السلم الأهلي، وأن الانتقال من حال الحرب إلى حال السلم يتطلب تغييراً في الخطاب السائد.

* عميد كلية الإعلام في الجامعة اللبنانية

(1) - هذه بعض المخالفات التي يستعرضها رئيس المجلس الوطني للإعلام المرئي والمسموع عبد الهادي محفوظ. جريدة «النهار» 6 آذار 2017. «مقدمات الأخبار التلفزيونية وموجبات القانون».

(2) - «دور مقدمات نشرات الأخبار في تعزيز السلم الأهلي». جوسلين نادر، طوني مخايل. مؤسسة مهارات، 2016. وجاء في خلاصة الدراسة: «الحرب لم تنته بعد، وهو ما يبدو لنا في المقدمات. وهو ما كان استنتجه أيضاً التقرير النهائي للإستطلاع الميداني الذي أقامه المركز الدولي للعدالة الانتقالية في بيروت الكبرى حول نظرة سكان بيروت الكبرى للحروب اللبنانية 1975-1990 من خلال كلام عدة أجيال حول هذه الفترة».

(3) - علي رمال. «مقدمات نشرات الأخبار التلفزيونية: اصطفافات سياسية، حرب نفسية وخرق للقوانين». في: «الإعلاميون وأخلاقيات المهنة». الجمعية اللبنانية من أجل ديمقراطية الانتخابات، بيروت 2009.

(4) - http://maharat-news.com/News12 نيسان 2016

(5) - كارولين عاكوم 23/8/2007 الشرق الأوسط. وعن المبالغة التي تظهر على تعابير وجوه بعض الإعلاميين في المحطة خلال قراءتهم النشرة، يقول عفيف: «هذا الأداء قد ينزعج منه فقط المعارضون لسياسة المحطة (...) يجب على الإعلامي المحترف أن يخلط بين القراءة الصحيحة والإثارة في الأداء لجذب المشاهد».

(6) - http://nna-leb.gov.lb/ar/show-news/271932/

مواطنة

إشكاليّة المواطنة في لبنان

نزار رمال*

هنالك عدة إشكاليات متعلقة بموضوع المواطنة في لبنان، اخترنا التكلم عن اثنتين منها هنا لاعتقادنا أنها الأكثر حضوراً.

*** الأولى هي إشكالية العلاقة مع المكان والحيّز الجغرافي كمحدّد أساسي من محدّدات المواطنية:**

إن مجرد التحدّر من مكان جغرافي لا يعني بالضرورة وجود المواطنة الكاملة. فعلى هذا «المتحدّر» المساهمة في استمرار حياة هذا الموطن، ويتم ذلك عبر دفع الضرائب والقيام بالواجبات للحصول على الحقوق.

إذ هل يحق مثلاً لمغترب أمضى عشرات السنوات خارج بلاده، ويدفع الضرائب لبلد آخر، ولا يساهم في تحديث قوانين بلده وتطور مجتمعه، كما أنه لا يتحمّل تبعات مصاعبه الاقتصادية أو ظروف عيشه، أن يقرر مصير الملايين من المواطنين الساكنين فيه، والمتحملين لكل ضغوطاته ومصاعبه اليومية عبر ممارسته حق الانتخاب مثلاً!؟

هل رابطة الدم وحدها تكفي لتقرير ما إذا كنت مستحقاً لشروط المواطنية؟

هذه الإشكالية تتجسَّد في قانون الانتخاب اللبناني، فهو مبنيّ على الانتخاب بحسب مكان القيد أو سجل النفوس وليس بحسب مكان العيش أو السكن. لذا، يكون على «المواطن» الذي ولد في بيروت وعاش فيها ويدفع الضرائب المتوجبة عليه لبلديتها، أن ينتخب في قرية ما في محافظة أخرى فقط لأن سجل نفوسه هناك. ممّا يجرّده من أهم حق من حقوق المواطنة ألا وهو المحاسبة عبر الانتخاب. فهو (أو هي) في ظل قانون كهذا لن يستطيع محاسبة بلدية بيروت مثلاً مع أنه يدفع لها الضرائب ويعيش في نطاقها.

ومن ناحية أخرى، ماذا عن الناس الذين يعيشون في البلد ولا يحملون الجنسية، مع أنهم موجودون فيه منذ عشرات السنين، مثل الفلسطينيين والفليبينيين والهنود والعراقيين والسوريين والأثيوبيين والمصريين والسريلانكيين و... الخ؟ لقد أصبح لديهم أحفاد مولودون في هذا البلد الذي يدفعون له الضرائب ويساهمون في تقدمه الاقتصادي والعمراني، ويتحملون مصاعب الحياة اليومية فيه ومخاطره الداخلية والاقليمية، أفلا يستحق هؤلاء المواطنة!؟

باختصار، كيف يمكن لـ«الناس» أن يتقبّلوا بعضهم البعض وينسجوا علاقات مدنية ومواطنية في ظل نظام سياسي ومجتمعي يشجّع نقيض المواطنة، بل ويكافئ السلوكيات غير المواطنية!

*** أما الإشكالية الثانية فهي في الانتماء**

ولطالما تساءلت عن مغزى وجود نقابتين للمحامين، واحدة في لبنان وأخرى في طرابلس والشمال. ويسري ذلك على نقابتي الأطباء والمهندسين أيضاً. وأحد الأسباب قد يكون متعلقاً بإرث إشكالية تكوين لبنان الكبير (كما غيره مما يعرف الآن بالدول العربية مثل سوريا والعراق والأردن والإمارات العربية وغيرها.) على يد الاستعمار الفرنسي – البريطاني في بدايات القرن العشرين.

في أي حال، ما زال الانتماء عنصراً أساسياً في تدعيم أو خلخلة موضوع «لبنان».

تتفق معظم المراجع التاريخية الأساسية الخاصة بلبنان (فيليب حتي، كمال الصليبي، جواد بولس، جورج قرم، أحمد بيضون، ...) على أن الطوائف/المذاهب كانت في أساس تكوين لبنان السياسي الحديث.

وفي ما يتعلق بالهوية، يتأرجح اللبناني بين المكوّنات المختلفة لانتمائه الفردي والأخرى الجماعية. ويجد معظمنا صعوبة شديدة في التعاطي مع هذا الأمر، خاصة أن تربيتنا لا تساعدنا على رؤية التكامل بين عناصر الانتماء المختلفة بل والمتناقضة أحياناً عديدة، وانما نتربى على سعي دائم لإلغاء مكونات عديدة من هويتنا لصالح مكون واحد أو اثنين على الأكثر.

«... هل ثمة هوية لبنانية واحدة؟ أو هويات متناقضة تجعل الحياة المشتركة بين اللبنانيين مستحيلة؟» (قرم).

«هويتي هي ما يجعلني لا أشبه أي إنسان آخر»، يقول أمين معلوف في كتابه «الهويات القاتلة». ويتابع قائلاً: «... تتكون هوية كل من الأفراد من مجموعة كبيرة من العناصر لا تقتصر بالطبع على تلك المدونة على السجلات الرسمية. فبالنسبة إلى الغالبية العظمى، هناك الانتماء إلى دين أو جنسية وأحياناً إلى جنسيتين، أو إلى مجموعة إثنية أو لغوية، إلى عائلة ضيقة أو موسعة، إلى مهنة أو مؤسسة كما إلى بيئة اجتماعية.

لكن اللائحة قد تطول أيضاً، ويمكن الافتراض أنها لا تقف عند حدّ، إذ يمكن الشعور بانتماء نسبي إلى مقاطعة أو قرية أو حيّ، إلى عشيرة أو فريق رياضي

© عمل لميرا مرتضى – مصممة جرافيك

ومهني، إلى نقابة أو شركة أو حزب أو جمعية أو أبرشية ...، الخ.

بالطبع، إن هذه الانتماءات ليست على درجة متساوية من الأهمية، في الوقت نفسه على الأقل. لكن لا يمكن إغفال أي منها إغفالاً تاماً، فهي العناصر المكوّنة للشخصية أو ما يمكن تسميته «جينات النفس».

وهذا العنصر بالتحديد، أي تغليب هذه الهوية الفردية على الهوية الجماعية، عنصر أساسي في إنتاج أزمة المواطن والمواطنية على مستوى الممارسة في لبنان، وفي دول أخرى عديدة.

فالانتماءات التي يُحسب لها حساب في حياتنا اليومية ليست دائماً تلك المعتبرة انتماءات رئيسيّة كاللغة واللون والقومية والطبقية والدين.

وما يسمّى بـ«الفرد اللبناني» يعاني من تضارب هذه الانتماءات وتداخلها، ونرى ذلك في كيفية النظر إلى العلاقات بين هذا «الفرد» و«كل» «فرد لبناني» أو غير لبناني آخر. فهنالك اللبناني السني الذي يغلّب الانتماء إلى مصر أو إلى دولة خليجية ما، كما الشيعي مع إيران، والماروني مع فرنسا، والأرثوذكسي مع روسيا.

هذه قضايا ما زالت راهنة وفاعلة في تشكيل المواطنة وممارستها من عدمها. من هنا، كيف يمكن لهؤلاء الأفراد العاجزين عن نسج علاقات صحية في ما بينهم، مبنية على أسس تقبّل الاختلافات والبناء على ما هو مشترك من مصالح وحاجات، كيف يمكن لهم نسج علاقات صحية مع «آخرين». والآخرون هنا هم «السوري» و«الفلسطيني» و«العراقي» و«المصري» و«الهندي» ...، الخ.

مقترحات في تعزيز العلاقة بين الناس على أساس المواطنة في لبنان:

لقد تقصدنا في عنوان هذه الفقرة استعمال كلمة «الناس» وليس كلمات دلالية مثل «اللبناني» أو «الهندي» أو «الفلسطيني»... الخ.

لا يمكن النظر إلى «الهواجس» و«المخاوف» القائمة بين «السوريين» و«اللبنانيين» و«الفلسطينيين» من دون النظر إلى الهواجس والمخاوف (هي نفسها تقريباً) بين اللبنانيين أنفسهم. وهذه المخاوف تأخذ أشكالاً عديدة منها السياسي والاقتصادي بل وحتى العددي الديمغرافي.

ونعطي هنا مثالاً برز بشدّة خلال الحرب الأهلية (تبع) 1975 – 1990 (وهي واحدة من عدة حروب نحن نعيش إحداها حالياً بأشكال غير عسكرية تماماً). فـ«اللبناني الماروني من الأشرفية» قد يتشارك النظرة الفوقية نفسها التي يمارسها «اللبناني السني البيروتي» تجاه «اللبناني السني الآخر والماروني العكّاري الآخر» مثلاً. علماً أنهما (أي اللبناني الماروني من الأشرفية واللبناني السني البيروتي) يمارسان علاقة دونية- فوقية بينهما أيضاً!

ومؤخراً برز هذا الأمر بشدة في موضعين فاقعين، الأول عندما دعا وزير العمل السابق السيد بطرس حرب إلى منع بيع الأراضي بين الطوائف اللبنانية، والآخر غداة اقتراح قانون انتخابي يقوم بموجبه المسيحي بالتصويت لمسيحي والمسلم لمسلم، أي بمعنى آخر ضرب مقوّم أساسي من مقوّمات المواطنية!

في ظل أجواء مؤسساتية ومنهجيات وسياسات كهذه، سوف يكون من الصعب جداً على الناس من جنسيات أخرى الحصول على معاملة مواطنية بل حتى إنسانية.

لا أظن بوجود إجراءات ناجعة بهذا الصدد من دون إصلاحات مؤسساتية (قانونية وتشريعية أولاً)، تلغي وتعاقب كل أشكال التمييز بين اللبنانيين (وهي قائمة على أساس الطوائف أولاً، وعلى أساس الطبقة الاقتصادية ثانياً، وعلى أساس المهنة ثالثاً). ومن ناحية ثانية، إصلاحات تربوية وأخرى ضريبية. وهنا يتساوى الفقراء اللبنانيين والسوريين في حالة المدرسة الرسمية مثلاً. كما يتساوون في دفع الضرائب غير المباشرة (وهي غير عادلة بغياب الضرائب المباشرة التصاعدية وغياب الضريبة على الأنشطة الاقتصادية الريعية).

وفي موضوع العلاقة بين «اللبناني» و«الفلسطيني» و«السوري»، لا بد من الوقوف عند ثلاثة عوامل (على الأقل) أساسية، ساهمت وما زالت تساهم في تشكيل هذه العلاقة وتحديد شكلها ونوعها ومستقبلها.

العامل الأول وهو صدمة اتفاقية سايكس-بيكو التي قام الاستعماران البريطاني والفرنسي بموجبها بتقسيم المنطقة وتقاسمها. وهي تتقاطع (أي هذه الاتفاقية ونتائجها-الصدمة) مع صدمات أخرى متزامنة (وعد بلفور)، و(تقسيم سوريا والعراق)، و(الثورة العربية الكبرى).

أما العامل الثاني فهو الذاكرة الجماعية (السلبية غالباً) حول العلاقة بين «سوريا» و«لبنان»، والتي وصلت إلى أوجها في فترة وجود الجيش السوري في لبنان وغداة انسحابه إثر اغتيال رئيس الوزراء السابق السيد رفيق الحريري. وقد أضيف إليها في السنوات الخمس الأخيرة أزمة اللاجئين السوريين في لبنان، وكيفية التعاطي الرسمي والشعبي معهم.

يضاف إلى هذه الذاكرة الجماعية أيضاً ما له علاقة بالعمل الفدائي الفلسطيني والوجود الفلسطيني المسلح في لبنان منذ أواخر ستينات القرن الماضي وحتى الآن (محصور داخل مخيمات اللجوء الفلسطيني حالياً).

أما العامل الثالث فهو احتلال فلسطين ولجوء أعداد كبيرة من سكانها إلى لبنان على عدة مراحل (منذ 1948 وحتى 1967)، وما استتبع ذلك من تطورات وتعقيدات وتدخلات سياسية واقتصادية وعسكرية وأمنية ومجتمعية وديمغرافية، اتخذت أشكالاً عديدة منذ نهايات الستينات من القرن الماضي وحتى الآن.

أخيراً، قد يمكن لبعض المقترحات أن تعمل على تحسين العلاقات أو على الأقل منعها من التصاعد سلباً نحو أزمة أكبر، على الأمدين القصير والبعيد، ومنها:

أولاً، لا بد من تعزيز حكم القانون واستقلالية السلطة القضائية في لبنان. ونعتقد بانعكاس هذا الأمر إيجاباً على كل الناس الذين يسكنون هذا البلد.

ثانياً، إلغاء السياسات والقرارات والقوانين التمييزية بحق:

أ- اللاجئين السوريين والفلسطينيين في لبنان.

ب- كل من يعيش على الأراضي اللبنانية من أية جنسية كان أو كانت.

ثالثاً، محاسبة السياسيين والإعلاميين الذين يحرّضون علناً وأو خفيةً على هذه الجنسية أو تلك، وتجريمهم أخلاقياً على الأقل. (يجب منع خطاب الكراهية ومحاسبة من يمارسه).

رابعاً، محاسبة البلديات التي تتخذ قرارات غير قانونية عنصرية وتمييزية بحق اللاجئين (مثل منع التجول وغيره)، وعدم التساهل معها.

خامساً، إطلاق مبادرات (ودعم ما هو قائم) مجتمعية تعمل على تعزيز التعارف والاختلاط الإنساني على كل المستويات (الفنية والثقافية والفكرية والمهنية) بين اللاجئين السوريين والفلسطينيين من جهة واللبنانيين من جهة ثانية.

سادساً، وقف الممارسات المسيئة لحقوق اللاجئين (مثل التوقيف الاعتباطي والتعذيب والإهانة والعقاب الجماعي)، ومحاسبة مقترفيها وعدم التستر عليها.

أخيراً، أجد القول أدناه مناسباً لختم هذا المقال:

«في الواقع الموحل والزمن السقيم، قد يكون إنجاز الممكن هو الحلم» سعد الله ونّوس – «منمنمات تاريخية».

* خبير في التنمية الإجتماعية

ثقافة

الحرب ليست مستودع أسلحة

(داريو، كل شيء انعقد وارتبط بك. أنت الحاء، أنت الباء)

عبيدو باشا*

امتلكت البلاد بؤبؤين سوداوين، عند من رآها تسقط بقلبها. وجدها آخرون محشدوة بشرارت الدوران العنيف على التحام القلوب والإبداع. امتلكت البلاد بصيرة، لا بصراً، عند هؤلاء. نشجت البلاد بالأمطار. تنفست عن عشرات الفصول المؤجلة. ذلك أن الصراع، لن يعتكف - بعد - بطبقات البلاد الأرضية. غاب البعض عن الوعي ببدايات الحرب. وجدوا أنفسهم على خطوطها المرتعشة. وجدوا بالحرب كل ما هو مبهم، كل ما هو مجهول. غير أن آخرين، وجدوا بالحرب تثاؤب البلاد بالضياء. هذان مثالان ساطعان. سار الكثيرون على سطوح النسيان. داروا على أيامهم، كمن يسير بنومه. حسبوا أنهم لن يعيشوا في مأمن ولا في واجب قديم. سيطر الهول عليهم، إذ وجدوا فيها نشيداً قبيحاً. انضوى من برؤوسهم الأفكار والأحلام بالحرب. تفتحت عيونهم وأجسادهم، أولاً، على حيرة بريئة. ثم، على الكثير من تورم البلاد بالطغيان. وجدوا بالحرب أيام بلوغهم. لن يقعوا بالذوبان ببساطة العقل الفجة ولا بالبكاء. ذاك عصر الغناء. وجد روجيه عساف على الكمائن في منطقة الشياح. انفجر نجمه هناك، يحفر ويبتهج بكل دورة قتال. هذا موسمه. هذا موسم من وجد الجوهر على سلاسل أجنحة الحرية بالمآثر البطولية الخاصة بها.

نجا هؤلاء من رعب المراحل الماضية. انفجروا كنجوم على المحاور بين المناطق المتقاتلة. لم يحتفظ من لهم أسماء ومن فقدوا أسماءهم بحرارة أجسادهم، حين رسبوا أمام المفاجآت والبراكين على الأرض والشهب الطائرة بالسماء. لم يلبث، من وجد بأيام السلم، أياماً فانية، أن أخذه الإحساس المدوخ بالتغيير، إلى الإشتباك. خالد الهبر وأحمد قعبور وحسن ضاهر وطوني وهبي ونصير الأسعد وفواز طرابلسي ورئيف كرم والياس خوري وغيرهم. هكذا انتصروا على العقبة الأخيرة. الحرب كرتيلاء ثقيلة على البعض. الحرب خزان متورم بالفساد والكبت والفروقات الإجتماعية، عند البعض الآخر. أصاخوا السمع مطولاً. وإذ انتبهوا إلى أصوات الطبقات التكتونية المتحركة، امتلأت نوافذهم بالنهارات والمهارات ولهيب الأنفاس المنتظرة منذ سنوات. خرجوا من الحفر الخاوية إلى العالم. وجدوا على خارطة العالم. سامحوا الغضب القديم، عديم الإهتمام بالثورة، وانطلقوا إلى حيث الأمل. مزجوا لمعان العالم بلمعان عيونهم. لم تعد تجارب الطليعة بالظل. مايرخولد ومایاکوفسكي ومنوشكين وآبيا وكريغ وفاختنكوف وبروك وبوشكين وغيرهم. دار بريشت بصالات المسرح كما لو أنه بنت جميلة. دار بيتر فايس بشوارع بيروت على وريقات البلاد العطشانة للتغيرات الجذرية. اندلعت الأسماء كالنار. جوليان بيك وجوديت مالينا، البريد أند بابيت (خبز ودمى)، مسرح الأندرغراوند، مسرح البورديل الراقي. الفودفيل، الكاباريه، التقويل، البولفار. المسرح رجل الحرب.

الحرب امرأة المسرح. كثر الرجال بالحرب. التشكيل، الأغنية السياسية، الشعر الجديد، الرواية، القصة القصيرة، السينما. خصَّبت الحرب أشكال التعبير. وأطلعت بعض الأشكال الأخرى من ضربات الوسوسة، برؤوس أبطالها، إلى الواجب الأول. تجربة الأغنية السياسية، زهرة الحرب العظيمة. زهرة بساقين متدللين. مارسيل خليفة، خالد الهبر، أحمد قعبور، أسامة حلاق، حنان مياس، أسامة ومروان غندور. غازي مكداشي، راعي الأغنية السياسية الأول. سمكات ذهبية في مستنقعات الدم وحقول الأحلام.

الحرب سلة مليئة بكل ما هو موجود خارج السوق. ماتت الأحاسيس المغشوشة بالأغنية السياسية. لا شيء بالصوت الجميل، سوى بسمة خاطفة. المهم، عدم الوقوع بالنشاز. سوف تجاور أزهار الهندباء الأزهار الملونة بحقل الأغنية السياسية. الكورس صوت الجماعة. الشعر الجديد، حنجرة الأغنية. الصوت سيّد الآلة.

وجدت، على هامش تجربة الكورس الشعبي، مع غازي مكداشي، عشرات الفرق بأحجام ملوّنة سيالة. كأنها خرجت من علب هدايا منسية عند شجرات ميلاد. خالد الهبر والفرقة، مارسيل خليفة وفرقة الميادين، سامي حواط والفرقة، فرقة اسامة حلاق. أحمد قعبور والفرقة. طلعت «فرقة السنابل» من كوم الأنفاس الحمراء بالكورس الشعبي. تجربة مسرح الأطفال الجديد. «السنابل» أولاً. ثم، «صندوق الفرجة» مع نجلا جريصاتي خوري وبعض حادقات الأطفال بمدرسة مدام فالانغا. ثم، فرقة بول مطر، العصرية، الفراشة. عشرات الفرق على طول البلاد وعرضها، بعد أن حاصرت مغامرات نبيل الساحة اللبنانية، كنبات راح يذبل تحت شمس الأيام الأخرى.

ساد مسرح جوزيف فاخوري الساحة على مدى عشرات السنوات. كشفته الحرب على التعليم لا التربية. ذلك أن التجارب الجديدة، حملتها المناهج الطليعية بالعالم.

بدا نبيل كفقير منجد بالمخملِ. مسرح بلا تميزات. دوره: إعادة انتاج الأيديولوجيا السائدة. النظافة والإجتهاد المدرسي وطاعة الوالدين. دورة واحدة. جاءت، بعدها، سبعون دورة. أكثر من مئة فرقة مسرحية. فرق هواة وفرق محترفين. دردمة و همهمات، ثم انفجر «مجمع الفضلات الفاضلة». نطت الحرب على أعمدة المرحلة الذهبية بتاريخ لبنان، حتى وصلت الحرب إلى الحرب. انفجر العجز القديم بالفضاء الجديد. انتصر على كل الرفوف المنطوية على كميات من الغبار. غبارٌ غبار. لا غبار طلع. انتصر الأحياء على الأموات.

بالحرب، صرخ اللبنانيون بأنهم أحياء. بعضهم، بعد أن حولوا تجاربهم من تجارب ظلال، إلى تجارب أعمدة. بعضهم الآخر، إثر النجاة من قذيفة مدفعية، سقطت على الجدران أو السقوف، بلا مواعيد جاهزة. الحرب حياة رفيعة. حياة الثقافة الرفيعة. حياة الفنون الرفيعة. بعد أن شد الفنانون والمثقفون أقواسهم وأطلقوها من الفؤاد إلى الفؤاد. الحرب مصاصة السوابق. لا تنويمة التمدن والحضارة. حدث إنجازي، إحيائي، بالإيماء والتلميح والتحول. تدفق غنائي على رياح التغيير. مشاطرة الملك جلالته، مشاطرة الملكة حضرتها. كل الملوك والملكات. توحدت، على قوس الحرب، كل الآفاق الرمزية والآفاق الواقعية والآفاق الخيالية، وهي تنصهر بالدعائم، بعد أن غرزتها بالأرض الخصبة. كل شرط بالحرب، شرط مجهض. اتضحت ملامح السنوات الماضية بسنوات الحرب. اتضحت عناصر السنوات، أدوات السنوات، بكل صفاتها المؤثرة. النوايا حرةٌ، بعيداً من مواقع الإنتظار.

ثقافة الحرب ثقافة ما سبقها وما تلاها بالثقافة الجارية بالأشياء والكلمات والأيام. كما يجري الموت بالميت. الجماعية واحدة من تأشيرات الحرب. جماعية الأداء بالأغنية السياسية. جماعية الكتابة والإخراج بالمسرح. الجماعية بالرسم. تحيين الرؤية، تتولاها الأيدي، بتجربة قادها سمير خداج، برسم لوحة بعشرات الأيدي. الجماعية في مسرح الأطفال. أكثر من كاتب للنص الواحد. أكثر من ملحن. أكثر من رأي بالإخراج. نكئت جراح التطريب والخيط الناظم له بالأغنية. الأداء بالمقدم.

أنجزت الحرب بسرعة ما حضرت له المراحل السابقة، بهدوء وصبر عظيمين. أجابت الأسماء الكثيرة عن طرق الأغنية السياسية على وميض الأحلام القديمة. تولى خالد الهبر مهمة الخروج من التجنيد الإجباري بالجيش اللبناني، لكي يعانق رؤاه. أقام طقس ولادة الأغنية الجديدة. اشتق أحمد قعبور بعض أبرز الأسماء الفرنسية، بدون أن يروم دراسة أساليب التأثير. الموسيقى ونجاعة الكلمة في أغنية جاك بريل وبراسينس وفيرا وفيرو وغيرهم. استبشر من خلالهم طرق الوصول إلى أغنيته. انصهر بعناصر أغنياتهم، بعد أن أدى أغانيهم باللغة الأم. ثم اندغم بعمره الجديد مع «أناديكم» وأغنيات شريطه الأول الأخرى.

فتق مارسيل خليفة حضوره بعمشيت على الصراع مع الأحزاب اليمينية هناك. هُجِّر إلى فرنسا. لم يعد إلى لبنان إلا على «وعود من العاصفة». لم يتوقع الكثيرون أن تنبض الكيمياء بين هؤلاء وبين من تبعهم ومن سبقهم. طوّقوا الأفكار المستهلكة بالأغنية غير المستهلكة.

الإثراء هي الصفة الأساسية مع شعراء الجنوب. إيقاعات الفهم بالمشاغل الراهنة. كثر الشعراء ولم يبق الشعر نقطة احتمال عائمة فوق أرض الصراع. فاضت الرواية بالنقاط الجديدة. رواية الياس خوري وحسن داوود وجبور الدويهي وغيرهم. مزج المسرح الهوية باللذة. لم تشغل المسرح فكرة الموت. بالعكس. طرق المسرحيون على سندان اللغة، على فكرة التحرر من الأطواق. استبطنوا زخماً إيقاعياً وشحناً عاطفياً، ترتب على دمج الواقعي بالتأمل العرفاني وغير العرفاني. شيء من نماذج الشعراء الصعاليك. كلما حكوا جسماً قشروه وكشفوه. ثم، لم يلبثوا أن ملأوا بياضات المرحلة الجديدة، بكل ما ساهم بتحولهم من الإنفعال إلى الفعل.

عشرات التجارب تفك كل ما ليس واضحاً بالحياة. عروض بالغرف المغلقة، بالساحات، بالمستشفيات، عند خطوط التماس. عروض شارع. عروض دمى عملاقة. هنا، أخصبت الأحلام والأجساد. هنا، تزوجت الجراح الأحلام. وصلُ الأضلاع، مباشرة، بالكون. لم يعد أحد يحتكر المناطق. الجامعة اللبنانية واد بنفسجي، يقدم ما لا يخبو لمعانه. ارتبط كيان الجامعة بكل حقوق العيش. لا محظور بعد. منحت الحرب الحرية الكاملة بالعلامة الكاملة، لكل حروف المدينة الجديدة. قراءات بدفاتر العصيان، لا قراءات بدفاتر المعصية. البون شاسع بين الإثنين. الحرب والثقافة، الثقافة والحرب. لم ترتضِ الحرب الثقافة كصديقة. وبالعكس. اتحاد جسدين على طريق الإنجاب، على البعد السيكولوجي للإتحاد والإنجاب. حيث الحب اتحاد والإنجاب ليس نتيجة. وحيث البعد الإجتماعي، إذ يتم الإعتراف بحقوق الزوجين والأولاد. وحيث يتم ذلك، يتم الإنسجام بين عناصر المجتمع، ما يدفع إلى دوران عمليات نموه. عمليات نمو، على البعد المقدس لاتحاد الجسدين/الروحين. لأن الإنسانية لا تكتمل إلا بالحب، لدى كل واحد من المتحابين. عطف ذلك على الإنسانية الشاملة، يفضي إلى أن يربي العنصر الآخر، ككائن مقدس. الحرب هنا كائن مقدس، لأنها بدت، بتلك المرحلة، أقدس هدايا الحكمة. الحرب هي المعنى. معنى يطلبه الواقع. تم تجسيد الأمر، لا بالقواعد الغابرة والقواعد الميتة والليافات. بالتبادل. بالحوارات الجدلية بين الحرب وبشر الحرب، وصولاً إلى التعبيرات المنظمة والممنهجة.

لم تدر الحرب حول نقاط رئيسية. دارت حول كل شيء. لن تنطوي المرحلة بدون تعارضات. تم استخدام ذلك، بخدمة الغاية الوحيدة. كتابة حياة جديدة. كتابة بالحرية القصوى. لا اتباع طرق. ابتداع الطرق.

حكمت الحرب على لبنان بحرية واسعة، أخلصت في خدمة مصالحها. لم تسعَ إلى الإرتباط بالحريات القديمة. غير أنها ارتبطت بها لا بوصف الإرتباط وظيفة، بوصف الإرتباط قدراً.

الحرية عقيدة لبنان. الحرية عقيدة اللبنانيين. هكذا أضحى المسرح،

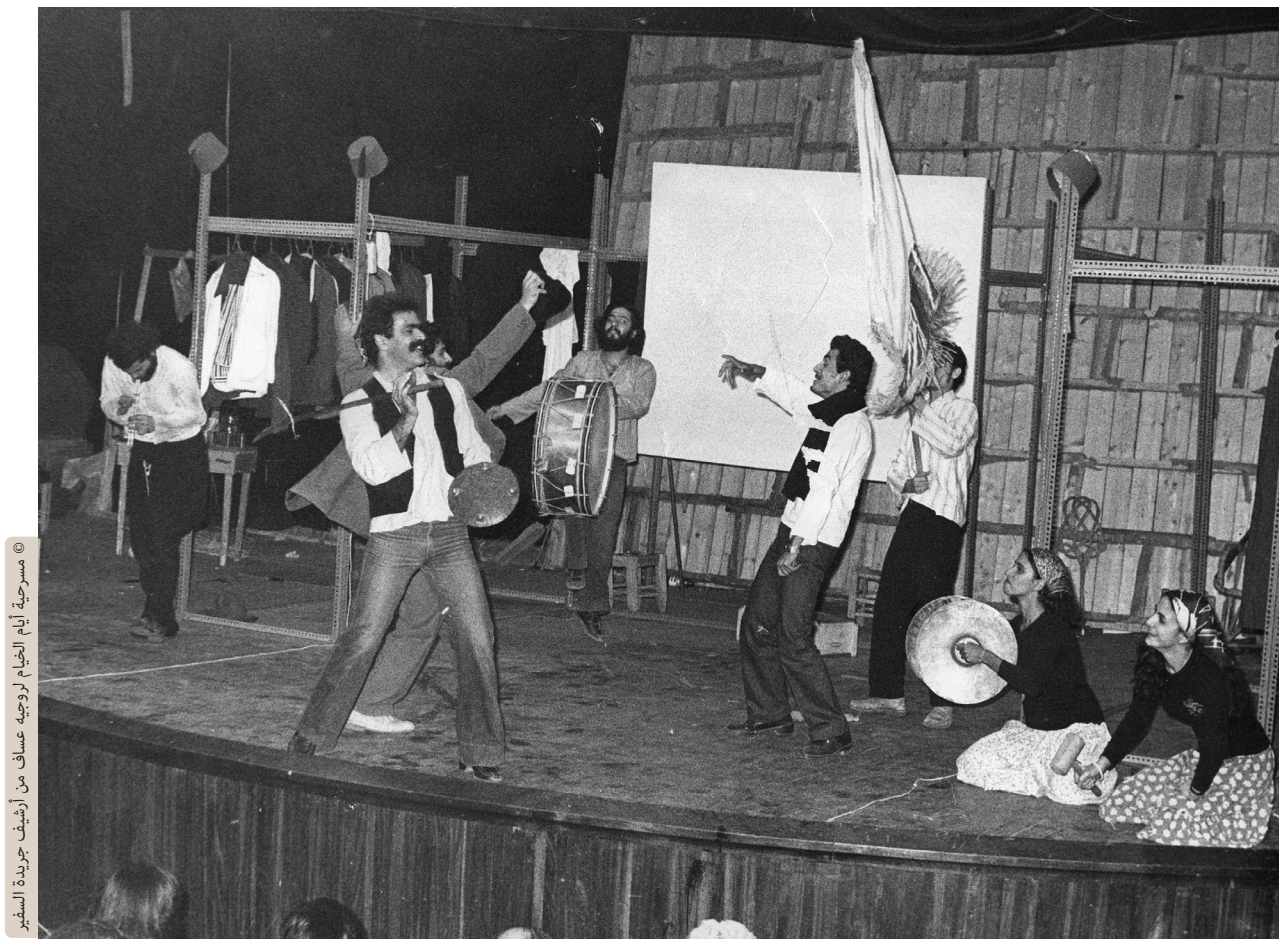
© مسرحية أيام الخيام لروجيه عساف من أرشيف جريدة السفير

غابة وحشية، ضاعت فيها جيوش المسرح القديمة. الجيش اليوناني، الجيش الروماني، الجيش الجرماني. الكثير من الجيوش. لا تعادل بالقسوة، حيث زرع المسرح بساتينه بأجمل وأطيب الخضار والفاكهة. منصة واحدة أولاً. ثم، منصات. امتد المسرح كأفق، على أفق البلاد الجديد. لا كنافورة. الرسالة الأولى سرد حكايات الآخر، عبر آلاف النقاط الجديدة. لن يقع أحدٌ بعد بفخار اللغات الشمولية. لغة الناس لا لغة الفوهرر. أضحى المسرح القديم، جدة قاتلة. كل شيء للتخريب. تخريب شعري. مفارقة مدوية. راح المسرح ينتشر ويجمع. لأن المسرحيين لم يوقعوا عقوداً ولم يفرطوا، كما فعلوا قبلاً، بوضع الرياح بأقفاصهم. هبوب يودع جحيم الملح. ما عاد المسرح طائرة ورقية سائبة في فضاء العالم. ارتدى المسرح وجه الدهشة والإدهاش. ثمة انعكاس وفير للشمس، بتجربة مسرح الحكواتي. أعود إلى الحكواتي كمثال متقدم. خرج روجيه عساف من مستنقع الطغيان في تجربة محترف بيروت للمسرح. اشتغل في المخيمات الفلسطينية مع محجوب عمر المصري. اشتغل في مقاصد صيدا مع أحمد الزعزع. اشتغل بعيناتا مع عبد اللطيف قطيش وناس القرية الجنوبية. قرية كسراج علّق على ليل كلام تجاربه السابقة. هنا الأجمات البكر وروح الماء والنصف الخفي غير المعروف، من عالم لم يفكر أحد بالغوص به. جريانٌ.

إستغنى روجيه عساف عن بحر البحر. لم يعد مدمناً أشكال المسرح، عديمة الجدوى. إذ بحث عن الجدوى بالجدران أو بالأرقام الجديدة، سواء بسواء. «الحكواتي» وعدة حياته، الطاهرة، الجديدة. المسرح القديم، إضطرار صريح، عنده.

«فرقة الحكواتي» هر وحشي، ما لبث أن مزق بمخالبه وأنيابه وبغريزة سليمة، كل الأناشيد المسرحية القديمة المدكوكة بعار الإشتغال على روائح طفولة المسرح بالعالم، لا بالعالم الخاص. لا لعب على المنصة. اللعب بالصالة. الصالة صالة لا معبد. العرض خيمة مجنونة من الحكايات. لا تغريب بعد. ولا قوانين القدرات الغابرة. دم الصيد الساخن، عند باب المسرح. استقبل أعضاء الفريق المشاهدين، كضيوف. لا حكواتي تقليدي. لا حكواتي بريشتي. الحكواتي فارس السهرات بالبيوت الشعبية. شخص يمتلك القدرة على السيطرة على الغرف المأهولة بالساهرين. من يستطيع إنعاش السهرات بالحكايات والذكريات والأداء الطيب والغناء واللمعات المدهشة. جسد عار على ساقين قويتين. جسد عار بقلب يتعقب كل عضو ميت عند الآخرين، لكي يحييه بالخفقان الخاص به. حكواتي لعوب، كنجمة تاجية، تقف بالسماء، لكي تنير الثرى.

بدت التجارب كالأسماك في أكواريوم، ضخم، عملاق. لا اطمئنان أمام المنامات ببلاد الخوف المقنع والوحدة المزنرة بالصور السوداء. الحلم غير المنام. حلم الجميع بالحرب. دخلوا بثنايا نوابض الساعات. كثرت التجارب ببلاد ضد صورها القديمة. بلاد البلور. سلالة من الفرق والتجارب.

فرقة الحكواتي اللبنانية (بالعبر والإبر، من حكايات جبل عامل ١٩٣٦، أيام الخيام. فازت الأخيرة بجائزة العرض المتكامل بمهرجان قرطاج المسرحي بالعام ١٩٨٣. لعبت بالكثير من المدن الأوروبية والعربية).

محترف المنارة. أسس المحترف رئيف كرم وعادل فاخوري. فرقة السندباد مع رئيف كرم (دشر قمرنا يا حوت...). قصدت تجارب يعقوب الشدراوي مراكز الضياء مع مسرحيات الحرب. جبران والقاعدة، نعيمة، الطرطور، بلا لعب يا ولاد.

فتح سفير المسرح السوفياتي، ليالي المدينة الصامتة والمغلقة، أيام الإجتياح الإسرائيلي، بالعام ١٩٨٢، على ارتعاشات الإضطراب، في مسرحية مفعمة بالفجر (الطرطور). هجائية، صبّت النار بشعر المدينة المحاصرة، بالكوميديا ديلا آرتي. شارون يلعب بسكر الماء، حتى يقطع الماء عن بشر بيروت. بشر بيروت يقدمون الطرطور. فرجة مسرحية، ضد العتمة والصمت. ضد الموت والجوع والعطش. مزج زياد الرحباني مسرحياته بعمره. جاء الخوف والحزن بالمسرحيات، ممزوجاً بأصوات صنوج اللذة وفيض من أجنحة الضحك، الطالع من تحت الجلد. بالنسبة لبكرا شو، فيلم أميركي طويل، شي فاشل. مسرحيات ضد ألواث الأحقاد وضد زرع السم بالذهب. خرج الكثيرون من ألم العتمة. سهام ناصر (الجيب السري)، مشهور مصطفى، نضال الأشقر وفؤاد نعيم (الحلبة). وضع الجميع الرأس بالقلب والقلب بالرأس. خرجت الأسماء دائماً من متاهات الأسواق. ريمون جبارة وربيع مروة وبيرج فازليان وانطوان ولطيفة ملتقى وجوزيف بو نصار وجان داوود وأنطوان كرباج ونورا السقاف وليلى دبس وزياد أبو عبسي ولينا أبيض. الأسماء الأربعة الأخيرة، اسماء تلاوة شعائر المسرح الجامعي. فصح المسرح لا كنيسته. عضدته الحرب على قطف القيمة بالجامعة، بعيداً من الخطب. ربت الحرب المسرح الجديد وعشرات المسرحيين. مسرحيون جدد، ومسرحيون توردت خدودهم من جديد، بعد أن بدت كالثمر الأشبه بعتمة الشكوك.

مطر المسرح بالحرب، مطر على حقل، لا مطر على زهرة. خصبت الحرب المسرح. خصبت كل أشكال التعبير. سمع طنين المسرح الساحر بالحرب. جذور جديدة بدون ستائر حرير. عبث ريمون جبارة. عندي: واقعيته السحرية. تفطر مسرحيات يعقوب الشدراوي على تنفس مزج المبهم بالمجهول، بجسد تفتح باستمرار، على الوضوح. العيون بالسيوف لا بالأرض. انفجر العالم بزخات من الدهشات. لم يعد المسرح رجلاً وحيداً. المسرح صوت الجماعة، بحرب بالكثير من الوجوه. حرب ثملة بشذى الزحام الصاخب بشوارع المدينة وصلاتها، حد إفساح المجال أمام بروز الهواة ومسرح الهواة (أبو موسى الزبال، مع بيار أبي صعب وفادي أبي خليل وآخرين). الحرب ليست أوراق موت. ليست مستودع أسلحة وآليات حربية. ليست مستودع جثث. الحرب حياة بأكثر من حياة. الحرب حياة تضاعف الحياة، إذ تطلعها من صناديق الأسرار المختومة، إلى شارع أخضر طويل. الحبر قبر الفنون القديمة المقدسة.

لا شبه بين الحرب السورية والحرب اللبنانية. الأولى عمودية. الأخرى أفقية. الحرب الأهلية بلبنان تم تخيلها بعناية، بحيث دفع باللبنانيين إلى تخطي لعبة الإرباك، بقيام مناطق واحدة مفتوحة على كل ما هو مثالي. «المنطقة الغربية». ومناطق لم تعش فتراتها السعيدة، على مستوى الثقافة. «المنطقة الشرقية».

جمعت المسرح بلبنان وسوريا العلاقات المتشابكة بالحرب. وأن الحربين مثلتا مشهدين كونيين. غير أن الحرب اللبنانية، حرب تجريدية بالتصورات المختصرة، في حين أن الحرب السورية، حرب واقعية. الحرب الأولى حرب استعارة. الأخرى حرب خطابات، كلما جرى استعمالها، ازداد عنفها.

أخذ المسرح في لبنان دوره الوسيط بين الثقافة والجمهور. مسرح، لا يجعله الحضور هشاً. حضور المسرح السوري بالداخل والخارج، حضور هش. ازدادت الهشاشة، مع تغذية الأوهام لدى طرف وتغذية الخوف لدى الطرف الآخر. تزايد الأوهام بمسرحيات المعارضة السورية، بلبنان على وجه الخصوص. وتزيد الخوف في مسرحيات الداخل المحاصر بأجهزة تصوير المعارك وما يتهدد أصحابها من المعارك هذه، ما زاد من ارباك أصحابها. واحدة من الأمثلة الساطعة، مسرحية النافذة لعمر جباعي. قدمت بمهرجان المسرح العربي بوهران الجزائرية. الكائنات المسرحية، تصبح كائنات واقع. لا العكس. رجل وإمرأة بيت، بعالم من خيال، يراقبان نافذة، يرتعش خلفها ضوء أو ما ظنا أنه ضوء. الحرب هنا، حرب معكوسة على شبكة العلاقات بين الزوجين. زوج مدمن على شرب المسكرات والسجائر. لا كلام يجمعه بالزوجة. لأنه بات معظم أيامه يلاحظ الضوء خلف الشباك. نهاية المسرحية، بانضمام الزوجة إلى الزوج وهي تراقب الضوء كما يراقب الزوج الضوء. «ما عم اتذكر» مانيفست سياسية. معتقل سابق يروي حكاياته أمام جمهور لا يعثر على حضوره الجديد إلا من خلال قصة المعتقل الجديدة. مسرحيات بين الأمثلة أو النمذجة وبين كتابة دوافع الحرب وانعكاساتها على جدران العلاقات بين البشر. ثم، أن المسرحية السورية، لا تصور طرق الفنان بكتابة عمله، قدر ما تخلد الواقع الأولي أو الواقع الجديد. هكذا هي «فوق الصفر «لأسامة حلال أو» إذا فيك تتطلع بالكاميرا، لعمر أبي سعدى أو «من أجل نعم أو من أجل لا» لمجد فضة. أو «المهاجران» لسامر فضة.

كنست الحرب بلبنان قياسات الفنان القديمة. لم يعد بوسط لعبة مكعبات. أضحى في أطلس جديد، حرك بأشكال التمثيلات الخرائطية بإدراج المعطيات الخاصة على أقراص الدوائر الراهنة. أيام الخيام ومن حكايات ٣٦ لمسرح الحكواتي نموذج ضد التصورات الكمية بالحروب، ضد التصورات الكمية للحروب. التجارب الأخرى، في معظمها، رفعت إدارة الفنان على أجنحة الحرية القصوى.

فتحت الحرب الحقل الخيالي للإمكانيات بلبنان. لا حقول خيال بسوريا أمام مشاهد العنف والقتل والإغتصاب والدمار الشامل. دمار لحم الأحياء والمناطق ببعضها، على عكس البشر. حول اللبناني العالم إلى خيط بالحرب الأهلية. لم يستطع المسرحيون السوريون، استنباط معطيات جديدة من حرب، لا تزال تدور بين التمزق والتمزق. غياب الروح الكوسموبوليتية عن مدن الحرب وقرى الحرب بسوريا، أفقد المسرح شواغل الفنان، بصالح إعلاء الخطاب بدون تلوين.

تطوع الناس بالخطر، صارعوا الموت. مبدعون، محاربون، لا يريدون لحياتهم الجماعية أو الجمعية، أن تهدر. أو أن يهبطوا إلى بطن الأرض لمرة أخيرة. الحرب مائدة. نهب السياسيون بلادها العظيمة. خسارة. بسوريا، لا تزال الحرب لعبة قاسية، لا تقاس إلا بمقياس الأرباح والخسائر. خرج الوضع اللبناني بالمسرح على ذلك، إذ شدد على الطبائع الطموحة والساخرة للمشاريع الفنية.

* فنان ومسرحي

المناصرة من خلال الكوميكس

لينا مرهج *

في عالم ننام فيه ونستيقظ على قصص شخصية، وصور مترابطة، ونصوص خطية على هواتفنا، يكون استيعاب قوة القصص والصور غاية في الأهمية، وبخاصة للأشخاص الذين لديهم ما يعبّرون عنه.

لماذا المناصرة من خلال الكوميكس؟ لأن هذه القصص المرسومة تتزايد كطريقة ناشطة وفعالة للتأثير على آرائنا حول المؤسسات والأنظمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية

وضع الكوميكس يعتبر بسيطاً نسبياً كما أن وسائل الانتاج متاحة.

بإمكان الكوميكس تصوير مدى تعقيد حياتنا من خلال تشابك الكلمات والصور.

كتبت رواند عيسى عن أوجه نضال المرأة الشابة.

تم تأسيس مركز القصة لمدّ الطلاب بالتوجيه المهني لمساعدتهم على تطوير رواياتهم البصرية بالمهارات اللازمة.

مع مشروع " الآن هنا "، يتمثل هدف التدريب في إنتاج كوميكس من أصوات تحتاج لأن تكون أعلى في ما تطالب بحقوق الإنسان والعدالة الاجتماعية.

يمكن استعمال هذه الكوميكس من قبل المنظمات الإنسانية ليتم تطبيقها في البرامج التثقيفية والتوعوية التي تدعو للمناصرة.

تشكّل الكوميكس الناتجة من التوثيق والأبحاث، مصدراً لمعارف جديدة وتكشف نظرة المجتمع إلى تاريخه وتقاليده.

كتب آرت شيبغلمان عن الهولوكوست.

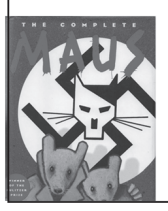

(جابلونكا، 2016)

كما بإمكانها جمع القصص والمواد العلمية والشهادات والمواد التوثيقية.

كتب جيبرت ولوفيفر ولومير سييه:"المصوّر: في أفغانستان التي مزقتها الحرب"، مع جمعية أطباء بلا حدود.

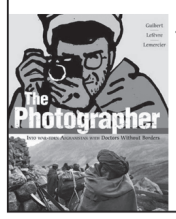

ومع إدراك هذه الحقيقة، اكتسبت الكوميكس اليوم جمهوراً جديداً يتمتّع بجدية أكبر ،حيث أنها تقدم مواضيع جديدة (وجدّية) ليتم استكشافها.

ويتعلم قراء الكوميكس من كافة الأعمار ومن الجنسين حول الطب والفلسفة والاقتصاد والتاريخ وعلم الاجتماع.

وجاء في كتاب كوميكس نُشِر مؤخراً عن دار نشر "لو لومبار" وعنوانه "حقوق الانسان"، للكاتبين تيري بوار وفرانسوا دو سميت:

وفي الصحافة، تلعب الكوميكس على التوترات ما بين البيانات المجازية و الواقعية ، وتفتح طريقاً جديداً لمعرفة الأخبار

(فاندرييك 2010)

والكوميكس تحرص، وبالتحديد في تصويرها للظروف التاريخية بإصرارها ووجدانيتها وعجلتها، على المشاركة الأخلاقية.

(شوت، 8002، صفحة 754)

كما تعكس الشفافية عوضاً عن الموضوعية، والذاتية الصادقة عوضاً عن الحقيقة المُزعَمة

(لوكاس بلانك)

ولأن الكوميكس الواقعية توفر المعرفة الجديدة، ثمة حاجة لأن يكون هناك التزام أخلاقي، لذا عليها أن تتمتع بطريقة صادقة وشفافة لعرض المواد.

كتبت ليزا ماندل عن غابة كاليه

يمكن للقصص الصحفية، باستخدام أسلوب التأمل الذاتي في القصص الشخصية، أن تكون أخلاقية إلى حدّ بعيد.

كتب جو ساكو عن فلسطين

في لبنان، تُعتبر الكوميكس شاهداً على الحروب؛ وكان حوالي نصف الكوميكس مرتبط بالحرب الأهلية أو بحرب تموز 2006.

كتبت زينة أبي راشد عن الحرب الأهلية.

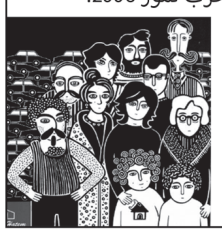

إنتقد ناجي العلي الأنظمة العربية وإسرائيل، على المستوى السياسي، وتم اغتياله لذلك السبب!

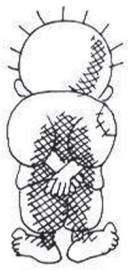

كانت بيروت 98 لورشة عمل جاد المجموعة الأولى من مختارات القصص الشخصية: قصص عن شخصيات عاشت خلال الحرب.

جاد خوري وماي ولينا غيبة وإدغار آحو، وغيرهم....

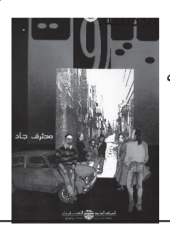

وقام مازن كرباج بتجربة طرق كثيرة لسرد القصص عن الحرب واستخدم التهكّم والسيرة الذاتية وسلسلة من القصص المصورة.

لعبت جنى طرابلسي بتركيبات تصويرية مختلفة لخلق معانٍ للخسارة ولرسوم الأطفال وللذاكرة.

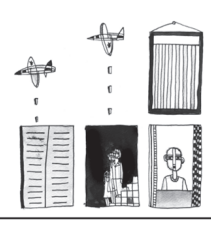

ونجدالكوميكس في لبنان في الصحف والمجلات كما في الكتب. ويقرأها الكثير من اللبنانيين ، أو قد قرأوها في مرحلة ما من حياتهم. وأهم ما في الأمر أن ثمة جيلاً جديداً من فناني هذه الرسوم .

تتمتع الكوميكس الواقعية بإمكانية النمو ، وخلق معارف جديدة، والتوسع بنقاشات جدية من دون أن تنتقد من خلال التأمل الذاتي.

لهذه الأسباب كلها، يمكن للرسوم الهزلية أن تكون مفيدة للمجتمع المدني في تحديد قصصه ومطالبه والإعراب عنها ومناقشتها.

* فنانة بصرية

Chute, Hillary. "Comics as literature? Reading graphic narrative." PMLA 123, no. 465-452 ,(2008) 2.
Jablonka, Ivan. "Histoire et bande dessinée." La Vie des idées 2014) 18)
Plank, Lukas. 2014. The Drawn Truth, Why Comics Journalism needs rules! source: http://lukasplank.tumblr.com
Vanderbeke, Dirk. 2010. "In the Art of the Beholder:Comics as Political Journalism". In Comics as a Nexus of Culture. ed. Mark Berninger, Jochen Ecke and Gideon Haberkorn. Jefferson, N.C.: McFarland.

يعمل مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي منذ العام 2007 على تعزيز التفاهم المتبادل والتماسك الإجتماعي من خلال معالجة الأسباب الجذرية للنزاع في لبنان. كما يعمل المشروع مؤخراً على مقاربة موضوع أثر الأزمة السورية على الإستقرار الإجتماعي على لبنان.
ويعمل المشروع على دعم مختلف فئات المجتمع من قيادات وجهات فاعلة محلية ومدرّسين وصحافيين وشباب وناشطين في المجتمع المدني، في تطوير إستراتيجيات متوسطة وطويلة الأمد لبناء السلام وإدارة الأزمات وتجنب النزاعات.

شعوب متمكنة.
أمم صامدة.

german cooperation
DEUTSCHE ZUSAMMENARBEIT
Implemented by: KFW

لمزيد من المعلومات
مشروع «بناء السلام في لبنان» التابع لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي،
مبنى البنك العربي - الطابق السادس
شارع رياض الصلح - النجمة، بيروت - لبنان،
هاتف: 980583 - 01 / 119160 - 70
www.lb.undp.org
www.lb.undp.org/PBSupplement
UNDP Lebanon

تصميم وتنفيذ: عمر حرقوص، حسّان يوسف
خط: بناء السلام خليل ماجد
تدقيق لغوي: جميل نعمة
ترجمة إلى العربية: ليال مروة